

ذكاء الاجيال الجديدة

أعتقد ان كثيرا من الخطأ في التفكير يقع من الظن بان (العقل) عمل روحاني غريب عن قواعد الحياة المألوفة بعيد عن روابطها . وسر هذا الظن هو حسبان العقل عملا مستقلا عن الجسم ، او كالمستقل ، او ذا صفة خاصة لا تشبه صفات الجسم الاخرى .

فمن المعلوم ان في جسم الانسان معدة وهضما مثلا ، كما ان فيه رئة وتنفسا ، وقلبا ودورة دموية ، وغير ذلك من الاعمال والوظائف التي تقوم بها اعضاء معروفة في الجسم . ولكنا كثيرا ما نخطىء فلا نجد بالطريقة نفسها دماغا وعقلا مترابطين . فالقول بان الهضم من عمل المعدة والتنفس من عمل الرئة لا يبعث غموضا ولا يثير تساؤلا، ولكن القول بان العقل من عمل الدماغ يثير التساؤل والاستغراب حينا ، بل الريبة والاتهام حينا آخر .

والحقيقة البسيطة هي ان الدماغ عضو في الجسم يتألف من اجزاء ويقوم بوظائف ، وهذه الوظائف وان كانت معقدة ، الا انها لا تختلف في جوهرها عما يوازيها من وظائف العضل والعظام والدم . والناس يدركون في سهولة ويسر ان الجسم اذا تقوى بالغذاء تقوى العضل والعصب والدم جميعا، ولكنهم لا يسبقون مثل ذلك حين يأتي دور الدماغ والعقل . ومع ان « العقل السليم في الجسم السليم » قول شائع لكن معناه غير مستقر في افهامهم . لذا نجد بعضهم يجب ان يعكس ليقول « الجسم السليم في العقل السليم » .

والذي يدفعني الى البحث في هذه النظرة ، التي ثبتت للعلماء منذ زمن ، ما ورد في هذه المجلة الغراء منذ عهد قريب بانه « يزداد تأكيد الاطباء والمربين والوالدين باصابة تلاميذ المدارس بضعف الحافظة وقلة تركيز الفكر يوما بعد يوم » ، ولذا اخذوا يبحثون عن وسائل لشحذ الذكاء وتقوية الحافظة .

وفي سبيل هذا الاهتمام اعتقد بخطر الفكرة التي الخصها للقارىء الكريم هنا ، فانها فارق بين فلسفة واخرى ــ فلسفة روحانية غامضة واخرى واقعية واضحة ، انها فارق ما بين التفكير الروحاني الذي يجعل العمل والفكر والاستنباط جميعا وليدة الوحي يهبط على الدماغ من الخارج ، والتفكير الذي يجعل هذه الوسائل الهامة وليدة العلم والمران والتدريب . الجسم ينهض بوظائفه فينهض الدماغ بوظائفه كذلك ، فيفكر ويتذكر ويخترع والجسم السليم يولد الدماغ السليم ثم الفكر السليم . انا موجود اذن انا افكر ، على العكس مما كان يعتقد به ديكارت ــ « انا افكر اذن انا موجود »

عندئذ يهون بعض الشيء ما حذرتنا منه هذه المجلة الراقية من تعرض الذاكرة البشرية للذهاب. ان طاقة الذاكرة اذن محدودة ، كما ان طاقة اية عضلة على حمل الاثقال محدودة . ومع ان الدماغ ذو طاقة كبيرة ، اذا ما قيس بطاقات اعضاء الجسم الاخرى ، فان هذه الطاقة تظل محدودة ، وما حذرت منه « الاديب » قد وقع فعلا للاجيال الحديثة « الصاعدة » ، ومنها الاجيال العربية . فتوزع جهود الناشئة على الغث والسمين من العلوم وعلى الضحل والعميق من الفكر وعلى الموزع والمنظم من المبادىء هو الذي يخلط في عقول الناشئة ما هو ادنى بالذي هو خير ، ويصرفها الى الضحولة والسرعة والخطر والهوان .

اما هل الذكاء البشري يتدنى الان ، وما هو الاسلوب الذي يجب ان يتبع في حصر الجهد على الناشئة بالسليم من المبادىء والعميق من العلم والرشيد من الفكر، فلعل موضوعهما كلمة اخرى نقدمها بعد حين .

عمان — **محمد اديب العامري**

جناية التدريس على الادب

***

بقلم السيد شحاته

اما الادب فلا اريد ان استقصي الكثير من ضوابطه وشروحه ولكني اقصر كلامي على ابسط تعاريفه : وهو الجيد من المنظوم والمنثور . فمن هو الاديب اذن ؟ هو الذي ينشىء فن الادب من شعر ونثر جيدين . ومن الادب : ادب انشائي ذاتي ينشئه الاديب ويخلقه متأثرا بعاطفة او بمنظر ، كقصيدة لابي تمام في المدح ، او لشوقي في وصف النيل مثلا او قصة لتيمور او قطعة للمنفلوطي او خطبة لزعيم عظيم .

اما الثاني فهو الادب العام وليس ذاتيا ينبع من قرارة الاديب او من وجدانه وتأثره ، بل هو موضوعي أي لا بد له من موضوع خارج عن قائله ومثل ذلك روايات المؤرخين، وشروح القصائد وتقرير الحقائق العلمية في الجغرافية او علوم الحياة او غيرها .

فالاول ادب لذة ومتعة ، والثاني ادب صناعة ومنفعة .

والمقصود بكلمتنا هذه (ادب الفن والجمال) الادب الانشائي .

اما الثاني فهو بعض التدريس او هو فن اصيل لا يستغني عن الخصائص التي تحتاج اليها صناعة التدريس من مقدمات وشروح واستنباط ... وغير ذلك والادب الانشائي ينبعث من الاديب كما يتأرج العطر من الزهرة ، او كما تترنم بالاغرودة اليمامة او كما ترف بأطيب النسمات هادئات الرياح او كما تنشق الشمس من فلق الصباح .

هذا هو الادب الذي يصدر عن الطبيعة الانسانية كما تصدر هذه المبدعات من الطبيعة غير الانسانية .

هذا هو اقصر تعريف للادب الذي اعنيه ، اما التدريس فلا اتعرض لتعريفه لاننا نطرق ابوابه مرارا طول النهار . وهو يطرق ابوابنا باعبائه وتكاليفه هزيعا من الليل .

والمدرس امام هذا الادب اما : اديب منتج او مؤدب موجه .

اما المدرس الاول وهو الاديب المنتج فهو ان كان في طبعه الادب وكان به الى صناعته ميل وطبع في المنظوم او في المنثور فهو لا يكاد ينبعث الى التغريد بين خمائل ادبه .

وآداب المتازين ــ لا يكاد يتفيأ هذه الظلال حتى تخرسه عوامل اقوى من طبيعته تثلم حديد اسنته وتكسر من غرب عزيمته .

تلك العوامل او المعاول الخصها فيما يأتي :

قراءة المدرس تلك الكراسات الرديئة الاسلوب ، المفككة العبارات وانشغاله بها طول يومه ، وجزءا من ليله ، وكل همه من اصلاحها ان يخرج اسلوبا يمشي على رجلين لا اسلوبا يختال او يعد في صميم الادب ويحضرني في ذلك قول الاديب الاستاذ فريد شوكه :

والكراريس يا لها من دواه ... جاثمات عليه كالكابوس
كم ألحت عليه كالعاصف الجا ... رف من (سبته) ليوم الخميس
قتلت روحه الفتي واجرت ... دمه في المداد فوق الطروس
ومحت نور عينه ، وأصابت ... ظهره في الشباب بالتقويس

ومعلمو الادب يقولون : اذا اردت ان تخرج في الادب ناقرأ شوامخه ونماذجه ، وما بالك برجل يستغرق قراءته في تتبع أخس الاساليب واردأ المخططات ؟ انها محنة التدريس التي تجنى على الادب الرفيع .

غرق المدرس في صنعته ومضى اول الليل يقرا الملخصات وملخص الملخصات ، ثم راح يخطط ويزوق ثم نام قرير العين هادىء البال لانه سيغدو في الصباح الى فتيته ليقدم لهم اعذب الالحان ، واشهى الثمرات .

وما طلع الصباح حتى اسرع المسكين الى درسه وهو مدل بعلمه شحيح بحقائقه الا في حلبة الدرس . ثم تجيء بعد قليل حلبة الدرس فاذا هو يفيض ويشرح ، ويقدم ويؤخر ويوجز ويطنب ، والجم الغفير من تلاميذه بين فاغر فاه ومستبصر بعينه ليرى في المدرس آراء شتى لا صلة لها بالاستاذ ولا بدرس الاستاذ ، كل من التلميذ ذهنه فتحركت نوازع شره أو على الاقل نوازع انصرافه وغفلته . وقد اعجبني تصوير الاديب الاستاذ محمد رجب البيومي اذ يقول :

نظرت الى التدريس نظرة فاحص ... فازعجني هم الاديب المدرس
يغذي عقولا لا تسيغ بيانه ... فيفتر منه العزم بعد التحمس
تمد غرس الذوق بين طباعهم ... فصادف من اذهانهم شر مغرس
فمال الى الاسفاف وهو جريمة ... متى يدن منها صاحب الذوق يدنس
تعاجم ، والفصحى تمد لسانه ... باعذب من شدو الطيور واسلس

ثم ماذا بعد هذا

أهذا المدرس الذي يستغرق التدريس كل وقته نطالبه بمتابعة التيارات الادبية، وقراءة الكتب القديمة والحديثة.

هذا الذي نطالبه ان يروي حوليات زهير ، وهاشميات الكميت ونقائض جرير واعتذاريات النابغة ومدائح حسان، وسيفيات المتنبي فوق رواية القرآن والسنة وخطب البلغاء ، وكتابة المنشئين وان يعرف الادب الحديث وثمرات المطابع في عصرنا ، هذا العصر الزاخر الغني .

اذا طلبنا من المدرس كل هذا نكون قد جنينا عليه التدريس . او قد جنينا على التدريس .

ما يحيط بالمدرس من عوامل كثيرة ، منها رتابة عمله ، وكثرة قيوده وما يسيطر على حالته النفسية من شعور بالتخلف عن غيره او ما يزحمه من اعمال تلازم عمله ، او حرصه على جر مغنم جديد يسد به خلل رزقه ويرى انه

* القى هذه المحاضرة الاستاذ السيد شحاته المفتش الاول بوزارة التربية والتعليم بمصر في اجتماع ثقافي بالفيوم .

مهما بذل من الجهود فهي ضائعة ، تنعكس هذه الصورة على أعماله ، فيضيق بحياته ويصغر في عين نفسه وما اصدق استاذنا الشيخ محمد عبد المطلب اذ يقول :

بني مصر ما بال المعلم كاسفا   يرى الناس فيها يكبرون ويصغر
سبيل النبيين الكرام سبيله   يعم به الدنيا صباحا فتعمر
سلوا عنه جنح الليل كم بات متعبا   تنام حواليه العيون وتسهر
سلوا عنه عينا قرح السهد جفنها   يخط عليها في الظلام ويسطر
فان مد للدنيا يدا يستمدها   لهم ، عنه ولت وهي غضبى تشزر

والادب لا ينبعث الا عن نفس مشرئبة متطلعة معتزة بمكانتها لم تشغلها نوازع الحياة ، ولم يرنق صفوها كدر العيش .

اما المدرس على انه مؤدب مخرج فيكاد عمله يكون ضئيل القيمة ، شائل الميزان .

فهو يقدم لتلاميذه موضوعات انشائية يشرحها ثم يصححها ، وهو حتما يضيق بتلميذه اذا اطال في موضوعه ، وعمله في التصحيح آلي لا اثر فيه للتوجيه الصحيح الذي ينتج الادب الرفيع . وفي ذلك يقول الاستاذ محمود غنيم :

حنانيك اني قد برمت بفتية   اروح واغدو كل يوم اليهم
صغار ، نربيهم بمثل عقولهم   ونبنيهمو لكننا نتهدم

وقليل من المدرسين يفسحون صدورهم الى تقبل منظوم او منثور يعرضه عليهم تلاميذهم ، وكثير من التلاميذ ماتت مواهبهم لتضييق المدرسين عليهم في هذه السبيل .

اما النشاط المدرسي — وهو الميدان الذي تظهر فيه ملكات التلاميذ ، وتنطلق مهاراتهم وغرائزهم في المحاضرة والمناظرة والتمثيل والصحافة والقراءة الحرة ، كل هذه المجالات لا يزال حظ مدارسنا فيها قليلا جدا ، وكل من اتصل بالمدارس يعرف مقدار الصعوبات التي تعرض امام هذا النشاط وتعوّقه ، ومثل هذا النشاط اما صوري تافه واما حسن فيه تكلف وصنعة .

وكثير من المدرسين — في سبيل نجاحهم في عملهم — يجنون على الادب جناية كبرى بأن يجعلوا اكبر همهم مخططا لا يمت الى الادب بصلة ، ولا يمكن ان يربي في التلميذ ملكة أدبية ولاذكر امثلة على ذلك :

أ — نص المنهج الحالي على ان تدرس البلاغة في ظلال النصوص الادبية . يقصد المشرّع اي واضع المنهج بذلك ان يستطيع التلميذ ان يشم رائحة الزهرة ، ويتمتع بجمالها دون ان يمسها ، ولكن المدرس سامحه الله يأبى عند تدريس : « وليل كموج البحر ارخى سدوله » ... يأبى الا ان يقسم التشبيه الى مرسل ومؤكد ومفصل ومجمل ، والاستعارة الى تصريحية وتبعية ، والكناية الى كناية عن نسبة وغيرها والتلميذ جهاز استقبال غير أمين يأخذ القشور وينأى عن اللباب .

ب — تقرر على تلاميذ كل صف من الابتدائي الى نهاية صفوف الثانوي كتاب (ذو موضوع واحد) واسم هذا الكتاب يوحي بفكرة ممتازة هي ان ننظر الى هذا الكتاب على انه وحدة تدرس في ظلاله فكرة الكاتب الرئيسية وطرق علاجها واوجه الايجاز والاطناب والاستطراد والتركيز في علاجه لها ثم ننقد كل حالة ونضع لها العلاج . والمقصود من ذلك ان يكون هذا الكتاب ذو الموضوع الواحد بناء جماليا نقف امامه على انه كل ونتعارف على اسباب نقصه واسباب كماله وهذا هو من مقومات التربية الجمالية لدى التلاميذ .

ولكن المدرس او التدريس (سامحهما الله) نأيا عن كل ذلك .

١ — سموا الكتاب : الكتاب الاضافي

٢ — قسموه الى حوادث ووقائع وحولوه الى درس في الجغرافيا او التاريخ .

٣ — ومنهم من اهمله او مر به عجلان برما .

لم تقف جناية التدريس على الكتاب ذي الموضوع الواحد بل تعدت الى درس النصوص والقراءة ، اذ لايزال معظم المدرسين يقصرون همهم على حفظ النص ، وحفظ معاني مفرداته ، اما شرح الاساليب بلغة عالية ، واما النظرة في جمال الادب ونقده فذلك قليل نادر وقد يطغى تاريخ الادب ايضا على النصوص كما طغت عليها قواعد النحو والبلاغة .

وفي درس النحو قليلا ما يقدم التدريس الى التلاميذ زادا مقبولا بل كل حظ تلاميذنا في درس النحو امثلة مفككة سخيفة حتى ليقع في اذهانهم ان هذا الادب الآسن لم يصنع الا لقواعد النحو . اما الادب العالي فقد وضع لاغراض اخرى . ولننتقل الان الى لغة التدريس .

هي لغة عامية او تزيد عليها قليلا . وعلى كل حال لا صلة لها اصلا بالادب ، ولا بتربية الذوق السليم ، بل انها اكبر هادم للادب اكبر معوق للتذوق الجمالي ان اصطنعها وتكلفها مدرس اللغة العربية هدمها وكسر قواعدها مدرس الرياضة والعلوم . ولغة التدريس امرها عجب . فهي تريد ان تفرض سلطانها على الادب بل تسخره وتفرض عليه العلم ليسهل تناوله وحفظه . ورحم الله ابن مالك حيث يقول :

بتا فعلت وأتت ويا افعلي   ونون اقبلن فعل ينجلي
بالجر والتنوين والندا وأل   ومسند للاسم تمييز حصل

ولم يكتف النحو بهذا الادب السخيف بل تعدى ذلك الى سائر العلوم وفي ارجوزة لأبان بن عبدالحميد اللاحقي:

فرمضان شهره معروف   وصومه مفترض موصوف

وسرت عدوى الشعر الى اخواننا من مدرسي المواد الاجتماعية فقالوا :

افريقيا يا عالما بحالي   يحدها بحر من الشمال
وتوجد الكاب في الجنوب   سبحان علام الغيوب

ننتقل بعد ذلك الى ناحية اخرى وهي (اعداد المدرس) الذي يقوم بالتدريس للمتأدبين فيتضح لنا :

تحية الوفد

●

حي باسم الاله عز وجلا   وجه هذي الوفود انى تجلى
قسما بالذي بدل القرب من البعد وداوى من الجوى ما اعلا
بالذي الف القلوب على الحب فرفت نورا ويمنا ونبلا
بالذي مهد اللقاء ببغداد فآسى جراحا والفه شملا
انه سادتي لقاء عزيز   هو اغلى من الحياة واحلى ..!

* * *

يا لقاء الاحباب في ارض بغداد تباركت ملتقى ومحلا
جمع الله بين جنبيك من العرب كراما نبتا وفرعا واصلا
كلهم مشعل ينير لنا الدرب وركب به الهوى حيث حلا
وخطى ترتقي الى المجد حتى   تتخطى المجد الرفيع المعلى

* * *

ان ركب الوفود للعلم للنور   لوحي من العلى بات يملى
قد حططت الرحال في ربعك اليوم فأهلا لقيت فينا وسهلا
قد فرشنا لك القلوب على الارض   فسر فوقها اختيالا ودلا
وبذلنا فيك النفوس رخيصات فيا عزه فداء وبذلا ..!
وحفظناك في السواد من العين   وانت السواد منها واغلى
وودنا ان لو قدرنا جعلنا الحب ما بيننا سفيرا ومولى ..!

* * *

يا كرام الوفود في ارض بغداد سقيت الندى رذاذا ووبلا
اننا كلنا على العهد ما زلنا   وعهد الاحرار بالبر اولى
اننا كلنا على الحق اخوان اتخذناه كعبة ومصلى
من قديم يشدنا النسب العالي وجدت لنا وشائج اعلى
وكفانا انا على الوحدة الكبرى   وانا الابرار قولا وفعلا

بغداد   **عاتكة الخزرجي**

اما مدرس المرحلة الاولى فلا يستطيع باية حال من الاحوال ان يأخذ بيد وليده الى ظلال الادب ، وليست ثقافته ولا كفايته تؤهلانه لان يضع اللبنة الاولى في بناء صرح الادب ، ولا ان يغرس البذرة الصالحة لاخراج طفل يحب الادب ويغرم به .

حقا ان من رجال المرحلة الاولى كثيرا من الادباء ولكنهم غدوا في محيطهم قلة لا تذكر بعد ان اختلط الحابل بالنابل وجاء كل من هب ودب الى دائرة التدريس في المرحلة الاولى .

اما تلاميذ المرحلتين الاعدادية والثانوية فعفا الله عن الخطة التي اعدت لتكوينهم . لقد ضننت عليه الخطة بحفظ القرآن وهو الذي كان يحفظه صبينا قبل الثانية عشرة وضننت عليه بالمحفوظ من الشعر والنثر فحددته على الاكثر بمائتين من الابيات .

ورحم الله الفرزدق حينما وفد به ابوه الى علي بن ابي طالب وقال له : هذا ابني يوشك ان يكون شاعرا مجيدا ، فقال : « اقرئه القرآن فهو خير له » .

ورحم الله ابا بكر الخوارزمي اذ قال له الصاحب بن عباد : « قد الزمت نفسي الا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب » . فقال

الخوارزمي : « أهذا القدر من شعر الرجال ام شعر النساء » ؟ ورحم الله الفيلسوف المؤرخ (ابن حزم) حينما اتهموه بالزندقة واحرقوا كتبه :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري

ان برامجنا مقصرة جدا تدلل الحافظين وتقصرهم على وشل لا ينقع غلة ، ولا يروي ظمأ .

كم يحفظ التلميذ في دراسته ؟ انه يحفظ على الاغلب الفي سطر من الشعر والنثر معا — هذا مع خسة في الحفظ ، والتواء في الفهم ، وسوء في الأداء . على انه لم يدرس كل ذلك متذوقا او متفهما او طالبا لادب صحيح، بل تناولها كما يتناول المريض الدواء .

اما كلياتنا فقد عدا عليها قصور المدرسة الثانوية . اذ يدخل الطالب الكلية بلا محفوظ ولا مقروء ثم يمتحن اخر العام — غالبا في المحفوظ والمقروء وان خرج افذاذ في هذه الكليات فما ذلك الا لاستعداد موروث ، او دراسة خارجية دائبة او لظروف خارجة عن ارادة الكلية المحترمة .. لانها تدرس الادب على انقاض الدراسة الثانوية .

ان البرامج في هذه الكليات جميعها لا تخرج اديبا وهذه هي جنايات التدريس على الادب . اذن ، فمن اي معين نلتمس تخريج المتأدبين . ذلك ما اتركه الان. ويكفي ان اقول ان دار العلوم اول ما انشئت وكانت في (درب الجماميز) بالقاهرة بجوار مسجد فاضل باشا وكانت ندوات عامة يجلس فيها مشايخ الادب ويتتلمذ عليهم رجال القضاء والطب والهندسة في ساعات معلومة يتدارسون الادب . ومن هنا نشأت دار العلوم ، وكانت لنا مشيخة عظيمة في الادب حينما كان المرحوم الشيخ المرصفي يلقي درسه حرا في الادب فكانت (بغية الآمل في كتاب الكامل) وكانت « المواهب الفتحية » لحمزة فتح الله .

ويجب ان نبحث ايضا في الظروف التي خرجت حافظ ابراهيم والبارودي من الضباط ، وعلي محمود طه من المهندسين . وعزيز اباظه وتوفيق الحكيم من الحقوقيين، وهيكل وشوقي ومطران من المترفين واخيرا محمد عبد الحليم عبدالله ومحمود غنيم من المدرسين .

واني لاذكر اني كنت في جلسة مع الاستاذ محمود غنيم وكان حينئذ مدرسا في مدرسة فؤاد الاول فوصفه احد المداعبين من الجلساء بانه (مدرس ممتاز) فثار غنيم وغضب لانه لا يرضيه ان يكون مدرسا ممتازا .

وهناك ظاهرة مهمة لعلكم تلحظونها معي وهي ان كثيرا من المدرسين الذين توافر لديهم استعداد ادبي فروا من التدريس واذكر منهم احمد حسن الزيات وعباس محمود العقاد ومحمود غنيم ومحمد سعيد العريان ومحمود حسن اسماعيل ومحمد عبد الحليم عبدالله وعلي احمد باكثير..

ونجد ان الدكتور طه حسين — اطال الله حياته — والدكتور احمد امين رحمه الله اذ كانا في كلية الآداب قل انتاجهما فاذا خرجا منها كثر انتاجهما واتسع . ومن هنا نشأت فكرة التفرغ للادباء ، يتفرغون سنة او اكثر في سبيل الادب لينتجوا الانتاج الصحيح خالصة اوقاتهم للادب وتجزل لهم مرتبات تعينهم وتكفيهم . ويحلو لي ان اتحدث عن رجال اتخذوا تعليم الصبيان حرفة لهم، ولكن ظروفهم ساعدتهم ففروا من هذا الميدان الضيق الى ساحة الادب الكبرى ، وهناك نبه ذكرهم وعلا صيتهم .

أكان يستطيع الحجاج ان يترك تلك الثروة البلاغية من خطبه ، وان يخلد اسمه في عباراته السائرة لو استمر في تعليم الصبية ولم تتهيأ له الظروف التي جذبته الى مكانة خلدت اسمه في سجل البلغاء من الخطباء ؟

ان الحجاج نشأ معلم صبية في الطائف ثم اتصل بعبد الملك بن مروان فكان بعد ذلك قائد جيشه ، ونائبه على العراق وهنا اتسع له ان يقول : انا ابن جلا ...

أوكان عبد الحميد الكاتب يخلد اسمه في طريقته الكتابية وان يلقب بشيخ الكتاب وفاتحتهم لو استمر معلم صبية ولم يتصل بمروان بن محمد وكان واليا لارمينية ولما بويع مروان بامارة الشام سجد وسجد جميع اصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ قال: اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا قال اذ تطير معي . قال : الآن طاب لي السجود ، وسجد فاتخذه مروان كاتب دولته ، وصدرت عنه من الرسائل ما شرق وغرب ، وكان لكتابته عمل يعجز عنه السحر في خلب الافئدة،وجذب النفوس.

يقال : انه لما ظهر ابو مسلم الخراساني داعيا للعباسيين كتب اليه عبد الحميد كتابا يستميله نحو الامويين وكان الكتاب لكبر حجمه يحمل على جمل فلما وصل الكتاب الى الداهية ابي مسلم امر باحراقه قبل ان يقراه .

وهل كان الكميت بن زيد الأسدي يزجي الى العالمين شعره المعطر لو استمر معلم صبية في مسجد الكوفة ، ولم يفد الى الفرزدق الشاعر الكبير ويقول له : انك شيخ مضر وشاعرها وانا ابن اخيك الكميت ، فقال : ما حاجتك، قال : قلت شعرا فاحببت ان اعرضه عليك ، فان كان حسنا امرتني باذاعته وان كان قبيحا امرتني بستره، قال الفرزدق : اما عقلك فحسن ، واني لارجو ان يكون شعرك على قدر عقلك ، فانشدني ، قال :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ... ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

قال الفرزدق فيم تطرب يا ابن اخي . فقال :

الى النفر البيض الذين بحبهم ... الى الله فيما نالني اتقرب

قال : ويحك ارحني من هم ؟ فقال الكميت :

بني هاشم رهط النبي فانني ... بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

فقال الفرزدق : يا ابن اخي ، اذع ثم اذع فانت اشعر من بقي ومن ذهب .

وفي ختام حديثي لا اريد من المدرسين ان يهجروا التدريس ، ولكن يا اريدهم ان يفروا الى الادب .

القاهرة — السيد شحاته

الحياء

يا ساحرا في الخدود   فتنتني يا حياء
يا عذر وجه الصدود   وزهو وجه اللقاء

السحر حيث تكون   لا سحر يبقى سواه
قد غض سحر الجفون   وكم سحر الشفاه

أعجب بسحرك سحرا   ان لامس الثغر خدا
تحول الماء خمرا   وفتح الفل وردا

كم قام في اللحظ ساحر   يسعى ليبطل سحرك
فقهقه القلب ساخر   منه ، وعظم قدرك

تجلى العيون سواحر   اذا اغتسلن بمائك
رفعتهن منائر   على عباب روائك

لم يهو قلبي سواكا   فانت في البقح تسبي
واي وجه اراكا   عليه ، يفتن قلبي

يا حب ابكي عليكا   ام انت تبكي عليا
توقح الحسن فيكا   فمات قلبي فيا

يا حسن جند لي عذرا   ان صار جندي لهوا
والبس لقلبي سترا   من الحياء ليهوى

يا حسن اين الخفر   لا تلق هذا النقاب
سل كيف تغري القمر   شمس وراء السحاب

يكفيك يـ' ورد عدن   لون بقلبي لتظفر
اريتني كل لون   وحسبي اللون احمر

لا تجف وجنة ارض   السر يرنو اليها
تشيح عنه ويغضي   ما دمت في وجنتيها

قل كم فتنت اله   على محيا سماء
تبكي اعز حلاها   ان ضيعتك النساء

يا جمر وجه الصدود   يا خمر وجه اللقاء
يا ساحرا في الخدود   فتنتني يـ' حياء !!

فارس سعد



اميل توفيق

موقف الانسان التناقضى من الوجود

للمحلل النفسي الامريكي دكتور اريك فروم

عرض وتلخيص : اميل توفيق

اريك فروم Erick Fromm محلل نفسي امريكي معاصر ، لـه مدرسة حديثة في التحليل النفسي ، تظهر ملامحها في كتبه الثلاثة Man for himself - The Same Society - Fear of freedom وقد كتب فصلا في الكتاب الاخير عن (الطبيعة الانسانية والخلق) يتضمن جزأين اولهما (موقف الانسان) وثانيهما (الشخصية) . والمقال الذي نقدمه هو عرض وتلخيص للجزء الاول من هذا الفصل . وسنوالي عرض الجزء الثاني مستقبلا باذن الله .

* * *

ان فردية انسان ما انما تمثل السلالة كلها . فهو مثال نوعي للجنس البشري . انه هو « نفسه الفرد » . وهو كذلك « كل الجنس » . أي انه يتضمن « ذاته » و « البشرية » . فهو فردية لها خصائصها المتفردة وبهذا المعنى متفرد بنفسه عن غيره . وهو في نفس الوقت يمثل خصائص السلالة الانسانية . اما شخصيته الفردية فتحددها خصائصها وامكانيات الوجود الانساني المشترك للناس اجمعين . والانسان بهذا الوصف له موقف معين، هو الذي يلقي ضوءا على دراسة « الشخصية » .

ضعف الانسان البيولوجي

اننا نفرق بين الانسان والحيوان من حيث التكيف مع البيئة . فالحيوان يقوم بتنظيم غريزته في عملية التكيف مع البيئة وتستمر طريقة التكيف الحيواني مع عالمه كما هي فاذا لم يستطع الحيوان ان يكيف الجهاز الفريزي مع بيئته المتغيرة ، فان نوع هذا الحيوان لا يلبث ان ينقرض . ولكن النوع الذي يبقى هو الذي يستطيع ان يكيف جهازه الفريزي مع ظروف البيئة المتغيرة وذلك بأن يغير نفسه . وليس بان يغير البيئة . وبهذه الطريقة يعيش في اتساق مع البيئة وهذا ليس معناه انعدام الصراع مع البيئة ، ولكن معناه ان تكوينه الموروث يجعله جزءا ثابتا من بيئته ، اذا تغير بتغير البيئة عاش والا انقرض .

وقد وجد انه كلما كان التكوين الفريزي للحيوان اقل ثباتا كلما كان المخ متطورا . ومن ثم كانت هناك قدرة للتعلم . ويمكن اعتبار ان الانسان قد نشأ في اثناء عملية التطور عندما وصلت عملية التكيف الفريزي مع البيئة الى حدها الادنى . وعند ذلك اصبحت له صفات هامة تفرق بينه وبين الحيوان وهي أولا وعيه لنفسه كوحدة كلية منفصلة ـ وثانيا قدرته على تذكر الماضي وتبصر المستقبل وثالثا استطاعته ان يشير الى الموضوعات والافعال برموز ، ورابعا قد زودته الطبيعة بالقدرة على ان يعلل ما يدرك وما يفهم مما يحسه في العالم . وكذلك بالقدرة على التصور لآماد بعيدة المدى خارج النطاق الحسي . والانسان يعتبر اضعف الكائنات جميعها بيولوجيا . ولكن في هذا الضعف سر قوته . ومن اجل ذلك الضعف كان تطور القدرات النوعية للانسان .

ثنائيات الانسان المتناقضة : وجوديا وتاريخيا (1)

ان وعي الانسان لنفسه ، وتفكيره وتصوره ، كل هذه قد شوهت الانسجام الذي كان يميز الوجود الحيواني . ذلك ان نشوء الانسان قد جعله شيئا غريبا لا عاديا ، اي ضمن الاشياء الفائقة الغرابة والشذوذ بين سائر الكائنات، بل وفي الكون .

ان الانسان جزء من الطبيعة يخضع تماما لقوانينها ولا يقدر على تغييرها ومع ذلك فهو يفوق الطبيعة ويتسامى فوق كل ما فيها . انه جزء من الطبيعة في الوقت الذي ينفصل منفردا عنها . وهو لا مكان له في الوقت الذي فيه يقيد بالوطن مشاركا فيه الخلائق الاخرى . انه قد وجد في الزمان والمكان ، بحدث ما ، وبحدث اخر يفترق عنهما . وكونه يعي نفسه ، فهو يتحقق من ضعفه ، ومن حدود وجوده ، وهو كذلك يتبصر نهايته بالموت . وهو لا يمكنه ان يتحرر من وجوده ذي الثنائية المتناقضة . فهو لا يستطيع ان يتحرر من عقله حتى لو اراد ـ كما انه لا يستطيع ان يتحرر من جسده ، مادامت فيه نسمة الحياة ، فان هذا الجسد يرغمه على الحياة .

---

(1) The existential and the historical dichatomiesin man.

واذا عد التفكير او التعليل نعمة في الانسان ، فهو ايضا نقمة — ذلك ان التفكير يجعله يواجه مشكلة ذات ثنائية متناقضة عديمة الحل .

فالوجود الانساني مختلف — من هذه الناحية — عن اي وجود آخر لانه يمثل حالة لعدم الاتزان الذي لا يمكن تجنبه . ان حياة الفرد حياة منفردة فهي لا يمكن تكرارها كصيغة من صيغ النوع . والانسان هو الحيوان الوحيد الذي يشعر ان وجوده مشكلة تواجه الحل ، ولا يمكن الهرب منها . فالانسان لا يمكن ان يعود للوراء الى حالة ما قبل الانسان — اي حالة الانسجام المطلق مع الطبيعة بل على الانسان ان يمضي قدما لينمي عقله وتفكيره حتى يصبح سيدا للطبيعة وسيدا على نفسه .

ان نشوء الفكر والتعليل قد جعل الانسان يكافح على الدوام من اجل حلول جديدة — وديناميكية التاريخ الانساني تتضمن وجود هذا التفكير المستمر الذي يرغم الانسان على ان ينمو ويتقدم — ومن خلال ذلك يخلق عالما خاصا من صنعه ، يبغي ان يحيا هو ورفاقه في انسجام واياه . ان كل مرحلة يصلها الانسان تتركه في حالة من الحيرة وعدم الرضا ، وهذه الحالة تدفعه بل وتحركه نحو الوصول لحلول جديدة . وينبغي ان نفهم ان ذلك لا يرجع الى (دافع فطري للتقدم) في الانسان . بل يرجع الى ان هذا التناقض في وجوده يدفعه في هذا الطريق . فكونه جزءا من الطبيعة ، وهو مع ذلك منفصل عنها — يجعله يفقد الاتحاد مع الطبيعة ، وهذا الفقدان يجعله سائحا جوابا ولذلك فهو مرغم على بذل الجهد فيتقدم بتفكيره من منطقة المعلوم الى منطقة المجهول لكي يكتشف ويعلم . وهو لهذا يفسر نفسه بنفسه كما يفسر معاني وجوده ، وهو كذلك مدفوع لكي يقاوم هذا الانفصال الداخلي معذبا بهذا الشوق نحو المطلقية (٢) او نحو نوع آخر من الانسجام الذي يمكن ان يرفع عنه تلك النقمة التي فصلته عن الطبيعة وعن رفاقه وعن نفسه .

ان الانقسام في طبيعة الانسان — من حيث انه جزء من الطبيعة ، وانه منفرد عنها في آن واحد — يقود الى موقف ثنائي متناقض (بوصفه الوجودي) اي يقود الى الثنائيات المتناقضة وجوديا (٣) (وتلك تسمية اريك فروم وهو يعلق عليها بقوله ان هذه التسمية لا علاقة لها بمفهوم سارتر عن الوجودية) وذلك لان هذا الموقف هو موقف جذري في الوجود الانساني . وهذه التناقضات(٤) انما تمثل التناقضات التي لا يمكن الانسان ان يمحوها او يتخلص منها ، بل انها لتؤثر بطرق مختلفة في خلقه وفي ثقافته . واهم ثنائية وجودية يتمثل فيها التناقض هو موقفه ما بين الحياة والموت .

ان حقيقة الموت لا تتغير عند الانسان — فهو واع بها . مدرك لها ، وهذا الوعي يؤثر في حياته . ولكن الموت يظل دائما النقيض الفعلي للحياة او النقيض الذي لا يتلاءم مع خبرات الحياة ولا علاقة بها .

ان كل معرفة بالموت لا تغير من الحقيقة ان الموت ليس له دور ذو بال في الحياة . وانه ليس علينا الا ان نمتثل لحقيقة الموت وبالتالي ان نمتثل للهزيمة المنتظرة . يقول سبينوزا « ان كل ما لدى الانسان سيعطيه لحياته ، والحكيم من فكر في الحياة لا في الموت » ولقد حاول الانسان ان ينفي هذا التناقض بالايديولوجيات (٥) المختلفة فكان مفهوم الخلود ، معارضا الفكرة القائلة ان النفس الانسانية تنتهي عند الموت . ان فناء الانسان يخلق ثنائية متناقضة ايضا فالانسان بوصفه منحدرا من السلالة البشرية ، يحمل في وراثته الاستعدادات او الامكانيات الانسانية (٦) ولكن مدى حياته القصير لا يسمح له ان يحقق كل ما يمكن ان تؤديه استعداداته او امكانياته حتى اذا اتيحت الظروف الملائمة . وهذا يخلق صراعا تراجيديا بين الفرد وحقه في تحقيق امكانياته . ان التناقض بين ما يحققه الانسان فعلا ، وبين ما يأمل ان يطمح الى بلوغه قد يدركه الانسان ولو كان ادراكا غامضا . ولكي يحل هذا التناقض تأتي الايديولوجيات المختلفة لتقضي على التناقض او لتصالح بين المتناقضين كأن تدعو للفكرة القائلة ان ملء الحياة سيكمل بعد الموت او ان خاتمة الممر التاريخي للفرد هو خاتمة متوجة للجهد الانساني . وكذلك الايديولوجية القائلة ان معنى الحياة ليس فيما تطوي من زمن ولكن معناها كامن في الخدمة الاجتماعية ، وفي القيام بالواجبات الاجتماعية — وان تقدم الفرد وحريته وسعادته ان هي الا مسائل ثانوية اذا قورنت بالنظر الى خير الجماعة او الى صالح الشعب او الى سعادة المجموع او امثال هذه المفهومات التي ترمز الى « القوة الخالدة » التي تسمو على الفرد وتعلو على مصالحه .

الانسان كذلك فرد وحيد — ولكنه منتسب الى غيره في نفس الوقت . هو وحيد او منعزل بالقدر الذي فيه هو وحدة كلية متفردة (٧) — لا تماثل غيرها ، او بالقدر الذي يعي فيه نفسه كوحدة منفصلة . فهو ينبغي ان يكون وحيدا عندما يحزم امرا او يعزم على القيام بعمل ما او عندما يصدر حكما من الاحكام او قرارا من القرارات فقط باستخدام قدرته على التفكير والتعليل .

ورغم ذلك فهو لا يستطيع أن يكون وحيدا اذ هو مرغم على الانتماء لجماعته . ان سعادته تتوقف على التماسك الذي يشعر به نحو رفاقه ، وعلى الارتباط الكائن بين ماضيه ومستقبله . وهناك — عدا التناقضات الوجودية — تناقضات اخرى تاريخية تقع بين الفرد وحياته الاجتماعية. وهي متناقضات من صنع الانسان ، ويمكن ان يجد لها حلولا اما ساعة حدوثها او في فترة لاحقة لذلك . ومن امثلة هذه التناقضات التاريخية التناقض المعاصر بين

وفرة الوسائل التكنية التي يؤدي استخدامها الى الاشباع المادي ، وبين عدم القدرة على توزيعها بالعدالة من اجل السلام أو من اجل صالح الشعوب . اما العجز عن ايجاد الحلول لازالة هذا التناقض فيكمن في عدم الجراة وفي انعدام الحكمة . ان نظام الرق الذي كان سائدا ايام الاغريق القدامى يعد مثلا لهذا التناقض الذي يمكن حله ـ فهو تناقض تاريخي ـ وقد وجدت له الحلول في فترة تاريخية لاحقة للفترة التي حدثفيها وذلك عندما توصل الناس الى فكرة المساواة على الاساس المادي .

وينبغي ان نفرق بين التناقضات الوجودية والتناقضات التاريخية فان اللبس بين نوعيهما يؤدي الى نتائج خطيرة. فقد كان المظنون عند البعض ان التناقضات التاريخية لا يمكن حلها اذا اعتبرت من صميم التناقضات الوجودية ، وهذا الاعتقاد في حد ذاته يعوق دون ايجاد الحلول لها .

كيفية حل التناقضات أو الاستجابة حيالها

ان من اهم صفات العقل الانساني انه لا يقف امام المعضلات سلبيا ـ فان العقل يتحرك لكي يحل ما يشعر به من تناقضات . وكل انواع التقدم الانساني ترجع الى هذه الحقيقة . حقا اذا لم يكن للانسان من رد او استجابة تجاه وعيه نحو المتناقضات ، فمعنى ذلك انتفاء وجود هذه المتناقضات او انكارها . ولكن الاغلب أن الانسان يسعى لايجاد الحلول لهذه المتناقضات وذلك بان يصالح بينها اما بالتبريرات الفردية او بالايديولوجيات التي تخلقها الجماعات في الحياة الاجتماعية . ومع ذلك فلو ان العقل الانساني قد وجد غناءه او رضاه فقط باستجابات عقلية يراها متضمنة للحق ، فان كل الايديولوجيات تظل دون تاثير عليه . ولكن الحقيقة كذلك هي أن العقل يقبل كحق الافكار التي يشارك فيها معظم افراد المجتمع الذين يخضعون لحضارة واحدة او الافكار التي يتضمنها نظام يفرض بالقوة. وكذلك اذا وجدت الايديولوجيات المنسجمة سندا لها من نظام مفروض بالقوة او بسلطة معينة فان العقل سيجد قناعته على رغم أنه قد لا يصل الى حل نهائي . حقا ان الانسان يمكنه ان يسلك السلوك الذي ينكر به التناقضات التاريخية ، ولكنه لا يستطيع ان يسلك السلوك الذي ينكر به التناقضات الوجودية ، على رغم اختلاف طرق الاستجابة لهذه التناقضات . فهو يستطيع ان يرضي عقله بتخفيف حدة الايديولوجيات وجعلها منسجمة في تطبيقها ـ وهو يستطيع كذلك ان يهرب من هذا القلق الداخلي او عدم الاستقرار العقلي وذلك بان ينغمس في حركة العمل والمشاغل والاهتمامات المختلفة. وهو كذلك يستطيع ان يلقى حريته وتحول نفسه الى آلة متحركة مؤدية الى قوى تعمل خارج نفسه ، مفرقا ذاته في حركة هذه القوى . ولكنه مع ذلك يظل دائما قلقا وليس راضيا . ان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو ان يواجه الحق ـ وان يذكر وحدته وانعزاليته في كون « لا يبالي بمصير الانسان » ولا بحظه ، وان يذكر انه ما من قوة تعلوه وتتسامى عليه لكي تحل مشكلاته . ان الانسان ينبغي ان يقبل المسئولية على نفسه كما ان عليه ان يدرك ان بقواه هو وحده يمكنه ان يعطي معنى لحياته . ولكن المعنى قد لا يتضمن اليقين والحاجة لليقين قد تعطل البحث عن المعنى . وعدم التحقق هو الشرط الوحيد الذي يرغم الانسان على ان يبعث بقواه فاذا واجه الانسان الحق ـ دون ذعر ـ فانه يدرك انه ما من معنى للحياة الا المعنى الذي يعطيه الانسان لتعبير قواه وذلك بان يعيش منتجا معطيا بانيا .

ان الحذر واليقظة المستمرين وبذل النشاط ومداومة الجهد ـ هذه كلها تحفظنا من الفشل في العمل الهام الذي يظهر امكانياتنا وقدراتنا وتنمية قوانا في نطاق القوانين التي رسمها لنا وجودنا .

ان الانسان لا يمكنه ابدا ان يتوقف عن الشعور بالحيرة والتساؤل وارتياد المجهول ـ اذا استطاع الانسان فقط ان يدرك موقفه الانساني ، وهذه التناقضات الوجودية ، وقدرته على ان يكتشف قواه فينميها ، امكنه ان ينجح في تحقيق امكانياته فعلا . فيكون هو « نفسه » و « لنفسه » . وذلك لكي يسعى نحو السعادة التي تنتج من تحقيق قدراته وملكاته ومواهبه ، بالفكر والحب والعمل المنتج .

قلنا في أول هذا البحث ان دراسة (الشخصية) يلزمها ادراك (الموقف الانساني) الذي بينا ملامحه منذ حين ، ومعنى ذلك ان علم النفس ينبغي ان يكون مبنيا على مفهوم فلسفي انتروبولوجي للوجود الانساني .

واهم ميزة في السلوك الانساني هو هذه القوة الفائقة التي تكمن وراء الرغبات والنوازع والدوافع والميول التي يسعى الانسان لاشباعها . وقد ادرك فرويد اكثر من اي عالم آخر ، أن يفسر ذلك السلوك على اساس التفكير الآلي الطبيعي (٨) الذي كان سائدا وقت ذاك . لقدافترض فرويد ان تلك الاهواء (٩) التي لا تعبر مباشرة عن حفظ الذات والفريزة الجنسية (والتي صاغها فيما بعد في غريزة الذات والموت (١٠) ما هي الا مظاهر غير مباشرة لدوافع غريزية بيولوجية لا اكثر ، وان تكن تفسيراته وافتراضاته لامعة ذكية ، فان جزءا كبيرا من هذه الرغبات او الاهواء والتشوقات لا يمكن ان تفسرها الغرائز (١١) ،

Absoluteness (2) Existential dichotomies (3) Contradictions (4) Ideologies (5) Human Potentialities (6) Unique entity (7).

Mechanistic Naturalistic thinking (8) Passions (9) Eros & Death (10) Instincts (11).

Strives (12) Needs (13) Frame of reference (14) Systems of thought (15) System of orientation (16) Devotion (17) Animism (18) Totemism (19) Non-Theistic (20) Stoicism (21) Theistic (23) Neuroses (24) Irrational strivings (25) Ancestor cult (26).

ذلك ان الانسان – مهما أشبع فيه جوعه وعطشه ونوازعه الجنسية – لا يجد الشبع والري الحقيقيين فانه بعكس الحيوان . يبدا يحس بمشكلاته الملحة لكي تصل الى حلولها . انه ينزع نحو القوة او الحب او التدمير والتخريب ، بل انه قد يدفع نفسه مانحاً حياته من اجل مثل انسانية عليا ، أو من أجل مثالية دينية ، أو في سبيل راي سياسي . ان هذه النوازع او المجاهدات (١٢) هي التي تصوغ لب الحياة الانسانية ، وتبرز مميزاتها . حقا « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » وبعكس تفسير فرويد الآلي الطبيعي ، فهذه العبارة الاخيرة كانت تفسر على اساس ان هناك غريزة فطرية دينية في الانسان ، وان حاجة هذه الغريزة للاشباع لا يفسرها الوجود الطبيعي ، بل تفسرها قوى تسمو عليه أو تستمد من قوى غيبية عليا . وهذا الفرض الاخير لا ضرورة له اذ يمكن تفسيره اذا فهمنا فهما تاما (الموقف الانساني) .

ان عدم الانسجام الكائن في وجود الانسان – اي تناقضه – قد خلق من الحاجات (١٣) ما يفوق او ما يسمو على الغرائز الحيوانية .

فهذه الحاجات قد نتجت من اجل دافع حتمي لاستعادة الوحدة والاتزان بين نفسه والطبيعة . ففي المقام الاول يحاول الانسان جاهدا من اجل الحصول على الوحدة والاتزان وذلك بتكوين مدرك كلي او مفهوم عام لصورة كلية شاملة عن هذا العالم بحيث تصبح اطارا دلاليا (١٤) اي اساسا فلسفيا يمكنه من ان يستنتج الجواب لاي تساؤل ما عن موقفه ، أو أن يجد الحل لما ينبغي ان يفعل . ولكن هذه الانظمة الفكرية (١٥) ليست كافية فان الانسان ليس « عقلا » فحسب ، ولكن له « جسما » كذلك – وعلى الانسان كوحدة كلية من الجسم والعقل ، ان يقف امام التناقضات الوجودية ، ليس بفكره فحسب، ولكنه ينبغي ان يجابهها بطريقة معيشته : بالمشاعر وبالسلوك وبالتصرفات العملية . ان عليه أن يجاهد من اجل التوازن لكي يوحد ذاته في كل مجالات وجوده – فعلى ذلك فان اي نظام توجيهي نحو الاتزان ينبغي ان يتضمن عناصر اخرى غير الفكر مثل الاحاسيس والمشاعر التي تتحقق ذاتيتها في الافعال والسلوك في كل مجالات النشاط الانساني . ان تكريس حياة الانسان من اجل فكرة سامية – من اجل الله – من أجل رسالة دينية كبرى – او غاية عليا ، انما هو تعبير عن هذه الحاجة التي تدعوه لان يحيا حياة متكاملة . أما عن حاجة الانسان الى نظام توجيهي (١٦) أو الى فكر تكريسي (١٧) . فهناك اجوبة عديدة تختلف في شكلها وفي مضمونها .

فهناك انظمة بدائية مثل الاحيائية (١٨) والطوطمية (١٩) وفيها يجد البدائي معاني وجوده في اسلافه – أو في توحيد ذاتيته مع اشياء طبيعية خاصة او حيوانات (او نباتات) معينة .

العين الخضراء

في الطريق الى بلودان عين ماء يلوح فيها الماء وكأنه في خضرة الشجر بسبب النباتات الخضراء الناضرة النابتة في قاعه ، وبسبب صفاء الماء وشفافيته .

•

خضراء يا خضراء يا جنتي
يا واحة ريانة الظل
يا سكنا يا مرفأ يا ندى
يا منبت الريحان والفل

وددت يا خضراء لو انني
بشطك المسحور عند السحر
النور شهد ذائب في حماك
يراقص الماء وظل الشجر

وددت يا خضراء لو أنني
بشطك الغافي بضوء القمر
يحملني السحر الى عالم
مفضض الالوان غض الصور

أواه يا خضراء لو انني
في عمقك الريان استلقي
أعانق الخضرة وانشوتي
والثم الظل واستسقي

اواه يا خضراء لو انه
في كل قلب ينبت الظل
غصن من الزيتون مخضوضر
عود من الريحان مخضل

لو عدت يا خضراء لو عدت
لو بالظلال الخضر وشحت
لو بالندى بالهوى بالعبير
طوقت ايامي وطوقت

القاهرة **ملك عبد العزيز**

وهناك انظمة (لا الهية) (٢٠) مثل البوذية ومع انها تسمى بالدينية فانها لا تتضمن مفهوما عن الله . وهناك انظمة فلسفية مثل الرواقية (٢١) (وهي تدعو لاحتقار اللذة والالم وضبط العواطف واحتمال الآلام دون شكوى من اجل حياة طيبة) (٢٢) . وهناك الانظمة (الالهية) (٢٣) الدينية وهي تعطي جوابا لحاجة الانسان لمعنى وجوده مرتبطا بشمولها لفكرة الله .

ونظرا لان هناك انظمة تدور حول فكرة الله (اي الالهية) واخرى تخلو من هذه الفكرة (اي اللا الهية) فلا يمكن تسميتها جميعا بالانظمة الدينية . لان التسمية الاخيرة قد اقتصرت تاريخيا على الاولى دون الثانية . ولذلك سوف نطلق على جميع تلك الانظمة الفكرية التي يجاهد الانسان بواسطتها — أن يجد فيها معنى لوجوده — سوف نطلق عليها اطارات دلالية للتوجيه والتكريس — او (النظم التوجيهية والتكريسية) .

وهناك نقطة اخرى نود ان نؤكدها وهي ان هناك غايات تعتبر من الغايات الدنيوية — وهي مع ذلك تنبع من تلك الحاجة التي تغذي الغاية الروحية والفلسفية . فنحن نرى في حضارتنا هذه (يقصد الغربية الامريكية) ملايين من الناس يسعون بل ويكرسون جهودهم من اجل الشهرة والنجاح . بل ونحن قد راينا وما نزال نرى في الحضارات الاخرى اولئك الذين يكرسون جهودهم بتعصب للانظمة الدكتاتورية للغزو والسيطرة . بل انه ليدهشنا ان هذه النوازع والاهواء الخاصة بالسيطرة تفوق في قوتها وسطوتها حتى دوافع المحافظة على الذات . وقد نخدع بسهولة ، حين نفسر هذه الغايات الدنيوية ودوافعها اذ نرجعها الى اسباب جنسية (وفقا لفرويد) او شبه بيولوجية — ذلك انها وان بدت في الظاهر تختلف في مضمونها عن مضمون الغايات الدينية او تتباين في طرق تحقيقها — هي في الواقع تنبع من نفس الحاجة الدينية . ان في حضارتنا هذه يؤمن معظم الناس بالله واحد في حين ان مساعيهم الجدي الذي يكرسون له جهودهم ينتمي فعلا الى انظمة كالطوطمية او عبادة الاصنام ، اكثر من اقترابها لدينهم . ولنتقدم خطوة اخرى في بحثنا فنقول ان طبيعة هذه الغايات الدنيوية هي في الواقع طبيعة (دينية) . وفهم هذه الغايات هو في الحقيقة مفتاح لفهم العصاب النفسي (٢٤) والنوازع اللاعقلية (٢٥) ويمكن اعتبار هذه النوازع استجابات فردية لحاجة الفرد نحو توجيه وتكريس جهوده . فالشخص الذي تنحصر خبرته في الاعتماد الكلي على اسرته والتماس معونتها دون ان يستطيع القيام بعمل ما مستقل وهو في الواقع عابد من عباد الاسلاف (٢٦) والفارق الوحيد بينه وبين عباد الاسلاف العديدين هو ان النظام الذي يتبعه هو ان النظام الذي يتبعه نظام فردي خاص وليس نظاما عاما . وفي حين يفسر فرويد الدين على انه نوع من العصاب ، نرى نحن (اي اريك فروم) أن العصاب يفسر على انه نوع من النوازع التي لها منبع ديني — ولكنه يختلف عن الدين بفرديته وعدم انتمائه الى تشكيل عام او نظام معترف به . والنتيجة التي تظهر امامنا خاصا بمشكلة الدوافع الانسانية يمكن تلخيصها في الآتي : ان الحاجة التي تدفع الناس نحو توجيه الجهود وتكريسها هي حاجة عامة بالنسبة للناس اجمعين . ولكن الذي يختلف بين هؤلاء هو ما تتضمنه انظمة التوجيه التي تشبع تلك الحاجة . اما ما يفرق بين نظام وآخر فهو فارق القيمة . فالشخص الناضج ، المنتج ، العقلي النزعة ، يختار من الانظمة ما يسمح له ان يكون ناضجا منتجا متعقلا . اما الشخص الذي تعوقه اسباب معينة عن التقدم والنمو ، فينكص الى الوراء ، ويحتمي في ظل نظام من الانظمة البدائية المتخلفة اللاعقلية وهذه بدورها تزيد من درجة اتكاليته او عدم استقلاله — ومن لا عقليته . ويظل قابعا في المستوى العتيق الذي تحدته الانسانية منذ آلاف السنين .

ان الحاجة الى نظام لتوجيه نوازع الانسان وتكريس مساعيه نحو غايات كبرى هي من صميم الوجود الانساني وهذه الصميمية هي ما يفسر سطوة هذه الحاجة وقوتها في دفع النوازع الانسانية . فليس هناك حقا ما هو اعظم منها دفعا لطاقة الانسان . وعلى ذلك فليس الانسان حرا ان يختار لنفسه « مثلا » او لا يتخذ . ولكنه حر ان يختار بين انواع من المثل المختلفة ، كأن يكرس ذاته لعبادة القوة والتخريب او ان يكرس ذاته للعقل والحب . ان الناس جميعا مثاليون وهم يسعون نحو غايات تفوق حاجة الاشباع المادي — ولكنهم يختلفون من حيث انواع المثل (او المثاليات) التي يؤمنون بها .

ويمكننا الان ان نتساءل : كيف نحكم على قيمة نظام من الانظمة التوجيهية او مثالية معينة ؟ ان الراي القائل انه يكفي الانسان ان يكون له شعور ديني وان لمجرد هذا الشعور قيمة ذاتية — هذا الراي خطر وخاطىء معا . ذلك انه ينبغي ان ندرس ونفهم اي نظام او مثالية بما في ذلك المثل الدنيوية التي لها منبع ديني أو التي تجيء كتعبير عن نفس الحاجة الدينية . وبهذا الفهم يمكن ان نحكم عليها من حيث ما تتضمنه من حق — ومن حيث المدى الذي تسمح به لقدرات الانسان وملكاته لان يبني وينتج ويبدع . ومن حيث درجة الاشباع لحاجة الانسان الى الاتزان والانسجام مع عالمه .

بورسودان — اميل توفيق

(٢٢) من تعليق المعرب .

الـــوطـــن

●

يبلـى على الايـام كل جديـد ... ويـد البلى تلوي بكـل مشيد
تتقادم الدنيا عـلى طول المدى ... من كـر بيض للزمـان وسود
وتشيب ناصية الرجال ووجدهم ... لديارهم لا يـأتلي بمزيـد
حب الديار شريعـة لأبـوة ... في سالـف وفريضة لجدود
تلك المرابع دونها درج العلى ... في غابر يحبو بخطو وليـد
كم مهجة خلف التراب دفينة ... عصفت مصفقـة بغير وريـد
تهفو الى الاوطان من حجب الردى ... بحنين مشتاق ووجد عميـد
ويكاد يعرب صمتها تحت الثرى ... لمسائـل ويبـين بالمقصود

* * *

قف خاشعا دون الديار موفيا ... حق الديار على المدى بسجود
هذي الديار صحائف مرقومـة ... جمعت من الابناء كـل تليـد
في كل شبر من ثراهـا سيرة ... لبطولـة سطرت بسيف شهيد
وبكل ركـن منبـر لعظـائم ... مردت قواعـده ببـأس مريـد
عبر الزمان كـأسطر مرقومـة ... خطت بغير يـد على الجلمـود
وطني تقدس ذكره وتبـاركت ... اسماؤه الحسنى بكل قصيـد
هو معقل لنبـوة في شـدة ... وكنا بمجد عن جدود صيـد
ومناط آمـال الرجال وكعبـة ... خفقت لها الاكباد عن توحيـد

* * *

اني لالمس ما انطوى من غـابر ... لبـني أميـة دون كل صعيـد
وارى جحافلهـم ترامى غربها ... كاليم يزخر عاصفـا بحديـد
مدت سراياهم جناحي اجدل ... للزحف مثـل العارض الممدود
وبنودهم فلق الصباح على الثرى ... سطعت محاسنه بكـل جديـد
نشر الغبار من القتام سحائبـا ... كالليل ران بكلكـل وزنـود
وبنو امية في الحديد كـأنهم ... ليث الوغى في الجحفل المشهود
فتيان صدق لا تليـن قناتهم ... في غمرة الاحداث خوف وعيد

* * *

هذي الديار مـرابـع لأبـوة ... في سالـف وذخـائر لحفيـد
رتعت بها آبـاء صدق حقبـة ... بقشيب افـواف لهم وبـرود
طهرت مدارجها كأن ترابهـا ... ركن العتيق بجفن كل شهيـد
ما كان بدعا والحمى شرف الفتى ... صون الديـار بمقلـة وكبـود
وطني وتلك جوارحي لك من هوى ... هتفت كساجعـة بجرس نشيد
واذا ذكرت بمحفل وطني جرى ... بالحمـد مني القول والتمجيد

دمشق ... **عدنان مردم بك**

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي
من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

حينما وضع افلاطون نظريته المثالية تحت تأثير الفلسفة الفيثاغورية الرياضية وغيرها من نوعها قسم المعرفة الى معرفة علوية سماوية ومعرفة دنيوية سوقية ، بمعنى ان الحقائق المثالية هي الحقائق التي تستحق المعرفة والتي لا يستطيع كل انسان ان يحصل عليها الا اذا كان حائزا على صفات خاصة تميزه عن غيره ، وبمعنى ان الحقائق الدنيوية السوقية هي صور ممسوخة عن الحقائق العلوية، ويستطيع عامة الناس ان يدركوها بدون ان يحتاجوا الى عقلية خاصة سامية . ونظريته المثالية هذه كانت مبدأ لفلسفته السياسية التي بنى عليها كتابه المعروف باسم (الجمهورية) . فقد قسم سكان الجمهورية الى صف من الناس يمتاز بمضاء العقل وسعة الحكمة والى صنف آخر لا يكاد يتصف بشيء من العقل والحكمة وانما يتصف بالقدرة على الاعمال اليدوية والجسمانية . ومن هنا كانت فكرته في تعيين الفيلسوف حاكما في الجمهورية وتكليف الولاة برعاية الدولة وصلاحها ورعاية التعليم والديانة والفن والثقافة . ومن هنا كانت فكرته ايضا في تخصيص الاعمال الحربية والاعمال اليدوية للمحاربين والعبيد في الدولة. ومن هذا كله يتبين كيف ان افلاطون قسم الناس قسمين: قسما يعلم وقسما يعمل ، لان القسم الاول فيه خواصه الطبيعية الممتازة للفهم والادراك ، ولان القسم الثاني ليس فيه هذه الخواص الطبيعية . وهذا شبيه بالفكرة التي سادت العالم من زمن قديم وهي أن الناس قسمان : قسم يعلم وقسم لا يعلم و (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . وهذه هي الفكرة التي كانت من جملة الاسباب في خلق حركات في التاريخ كانت تكون احيانا بالتأثير الغير المباشر من المفكرين او الفهماء او بالتأثير المباشر من الجماهير او عامة الشعب . ثم ان هذه الفكرة هي اساس الصراع بين طبقة مختارة من الناس من جهة وبين عامة الناس ودهائهم من جهة اخرى ، او بعبارة اخرى بين الاوليفارقية او الارستقراطية وبين الديمقراطية وقد كان الكثيرون في انكلترا بل وفي بلاد اوروبية اخرى في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين خاصة يعتقدون بان في الامة طبقة هي اهل للتعليم العالي وللحكم دون الطبقات الاخرى التي ليس لها من الصفات المناسبة التي تؤهلها للتعليم او للحكم . ولعل هذه الفكرة كانت اساس نظرية الذين يدعون الى دكتاتورية المفكرين في مقابل دكتاتورية العمال او دكتاتورية الشعب .

ولكن نظرية افلاطون الثنائية في تقسيم الناس كان لها تأثير آخر وهو ان الحكمة هي من نتاج المفكرين وحدهم في رأي البعض او انها من نتاج الحكمة المودعة في الشعب عامة في رأي البعض الآخر . وعلى هذا كان المفكرون يعتقدون بان اصلاح المجتمع او الدولة يكون عن طريق وضع النظريات والانظمة الطوبوية ، وكان رجال الشعب يعتقدون ان هذا الاصلاح لا يكون عن طريق التفكير المجرد وانما يكون عن طريق ممارسة السلطة واشراك الشعب في ذلك . والمثال على الطريقة الاولى ، طريقة الفكر ، هو النظريات الطوبوية عند افلاطون ومور وسان سيمون والفارابي وفوريه وغيرهم . والمثال على الطريقة الثانية ، طريقة الحكم ، النظريات الثورية والفوضوية . فالطوبويون يعتقدون ان الاصلاح يتم عن طريق وضع النظريات الاجتماعية ، والآخرون يعتقدون ان ذلك لا يتم الا عن طريق السلطة ومشاركة الشعب عمليا .

ويكفي للتدليل على ذلك ان اذكر مثالا واحدا على ذلك في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . ومن زعماء الانتقاض على المفكرين والداعين الى الثورة والانقلاب الزعيم الروسي البولندي فاتسلاف ماخايسكي (١٨٦٦ — ١٩٢٦) . فبعد ان درس هذا الزعيم الثوري كتابات المنظرين الاشتراكيين والاقتصاديين بالاضافة الى كتابات ماركس وورود برتس وصل الى النتائج التالية :

١ — الاشتراكية هي مذهبية مثالية اتى بها المفكرون من الطبقة البورجوازية ولم يأت بها العمال .

٢ — جميع الاحزاب الاشتراكية في اوروبا الغربية احزاب لا تعدو ان تكون جماعات تقدمية تحافظ على القانون، ولا تدعو الى ثورة حقيقية لقلب النظام الراسمالي، على الرغم من ادعاءاتهم الثورية الكلامية فقط وبالرغم من مطالباتهم بالاصلاحات السياسية والاجتماعية .

٣ — ان هذه الحركة البعيدة عن الثورة انما هي صادرة عن جماعات تخدم مصالح الطبقة البورجوازية الجديدة من المفكرين ولا تمت بصلة الى عامة العمال ، ويبقى اربابها راضين عن الوضع العام اذا وفرت الحكومات القائمة لهم مراكز ومناصب يعيشون منها في الحركة العمالية او في المنظمات الثقافية والاقتصادية المختلفة . فحركتهم حركة منافع ومصالح طبقية لا غير .

٤ — ان هذه الطبقة الجديدة من المفكرين ليست الا طبقة من المجدودين المتنفعين ، تقاتل في سبيل اخراج طبقة المجدودين الحاكمة والحلول محلها في الحكم ، وبضاعتها الوحيدة هي انها متعلمة فقط . وقد حملت لواء الدفاع عن العمال من قبيل التظاهر والتستر فقط ومن قبيل الحصول على مناصرة العمال .

٥ — لا ترمي هذه الطبقة الجديدة من المفكرين الا الى

الارتقاء الى دست الحكم على ظهور العمال ، حتى اذا استلمت الحكم اكتفت بالمراكز الحكومية والمرتبات العالية، وتهادنت مع الرأسماليين ، واصبحت بذلك طبقة جديدة من الحكام لا غير .

ومن هنا يتبين ان ماخايسكي كان يقاوم حركة المفكرين في الاحزاب الاشتراكية الغربية لان هذه الاحزاب لن تغير في الوضع الحقيقي شيئا لانها ، اذا نجحت في حركتها ، اما تغير الوضع القائم بوضع جديد يبقي الامور على ما كانت عليه ، ويبقى العمال على حالهم ولكن تصبح السيادة في ايدي هذه الطبقة من المفكرين بدلا من طبقة المجدودين من اصحاب رؤوس الاموال . ولذلك راى ماخايسكي ان الحل الوحيد هو التساوي في الاجور بين الجميع ، لان هذا التساوي يعطي فرصة متكافئة للجميع ويمكن كل فرد من الحصول على التعليم العالي ، فلا يبقى بين الناس فرق في العلم ، وبذلك لا يبقى فرق بين الطبقات . فالمساواة في التعليم في رايه هو الحل الوحيد للخلاص من ان تستغل طبقة طبقةاخرى ، وللوصول الى مجتمع تكافؤي خال من الطبقات . وهذا شبيه بما يدعو اليه الماركسيون وهو زوال الدولة بالنهاية . الا ان الفرق بين ماخايسكي والماركسيين ان ماخايسكي يريد ان تزول الدولة عن طريق التعليم ، وان الماركسيين يريدون زوالها عن طريق التطور الاقتصادي . ثم ان ماخايسكي يقاوم فكرة السيطرة عن طريق التفوق في العلم والفكر ، والماركسيون لا يقاومونها صراحة . فهو يردد في هذا الراي قول بكونين الزعيم الثوري الاخر (١٨١٤ – ١٨٧٦) الذي بنى نظريته قبل ثلاثين سنة على ما يشبه نظرية ماخايسكي ، وهي ان الذي يعرف اكثر من غيره يكون هو الحاكم ويبقى الذي يعرف أقل من غيره محكوما ، وينقسم المجتمع بسبب ذلك الى طبقة من السادة والى طبقة اخرى من العبيد . وعلى هذا الاساس كان بكونين ينتقد الماركسيين لانهم يرمون الى خلق طبقة من السادة تستغل الطبقات الاخرى .

ذكرت هذا كله اشارة الى الفكرة القديمة التي تقسم الناس قسمين : قسم المتعلمين والمفكرين وقسم العوام الغير المتعلمين . وهذا كله يرجعنا الى فكرة افلاطون وهي ان في الدولة اناسا لهم صفات فكرية خاصة تميزهم عن غيرهم وتؤهلهم الى الحكم والسيادة بفضل ما لديهم من ملكات تتوصل الى الحكمة والتعقل ، على عكس الاناس الاخرين الذين ليس لهم هذه الصفات . ولذلك كانت جمهورية افلاطون مثالا على تقسيم الناس الى مفكر وغير مفكر ، وبالتالي الى سيد ومسود او حاكم ومحكوم . ولم ينج اصحاب النظريات الاجتماعية من تأثير هذه الفكرة في جميع العصور . فتاريخ المفكرين في الغرب في القرون العشرة الاخيرة يقع في ثلاثة ادوار : (١) الدور الديني حينما لم يكن مفكرون الا اولئك الذين تجردوا لخدمة الدين وكانوا مستودع الافكار العقائدية والمرجع في تفسير الكتب السماوية . (٢) الدور العلماني حينما نشأت طبقة من المفكرين الماهرين بالقانون والتشريع المدني، واصبحت منافسة لطبقة المفكرين الدينيين ، وقد يدخل في غمار هؤلاء بعض رجال الفكر والعلم في القرنين السابع عشر والثامن عشر . (٣) دور الثورة الصناعية حينما تزايد عدد المفكرين وخصوصا من الطبقة الوسطى بفضل اتساع التعليم والنشر والطباعة والاذاعة ، وبين الدور الاول والدور الثالث شبه كبير . فالمفكرون في الدور الثالث يظهرون عداءهم للانظمة الاقتصادية والاجتماعية في مجتمعهم دفاعا عن طبقة العمال اولا شفقة بهؤلاء العمال وثانيا نقمة على الحيف الذي يقوم عليه المجتمع . والكنيسة ، على غرار ذلك ، كانت تسلك مسلكا شبيها بهذا المسلك نحو المنكودي الحظ ، فكانت تحمي الفقراء ، وتطعم الجائع وترعى المريض وتعلم الجاهل ، وكل ذلك بدون مقابل . وكانت ايضا تنقم على الغني لقساوته في معاملة الفقير . ولكن بين الدور الاول والدور الثاني حتى القرن الثامن عشر مباينة واضحة . فان المفكرين العلمانيين في الدور الثاني كانوا اصدقاء الحكام والاقوياء وكانوا يناصرون الطبقة الناشئة وهي طبقة التجار . وعلى العموم فان المفكرين في الدور الثالث كانوا دائما حلفاء العمال ، منذ الثورة الفرنسية في سنة ١٩٣٠ وفي الثورات الاوروبية في سنة ١٨٤٨ . ولا تزال هذه الفكرة قائمة حتى الان ، وهي في اساسها محاربة هذا الفارق بين سيد ومسود وحاكم ومحكوم .

لندن

حسن الكرمي

« لن تجد منطق الحياة في كل ما هو منطقي ، كما وانك لا تجده في كل ما هو غير منطقي ، يخيل الي احيانا اننا نطارد منطق الحياة عبثا . »

* * *

اجل الى النهاية ، الى النهاية ، حتى النهاية . لتتساقط حبات العقد ، لتعاركها في مضيها الاصابع ، لتحس سقوطها في الهاوية .

ليغرس دائما نصل المدية في جسم المحتضر ، انه يجر من وقت طويل ، من امد بعيد ، لعله يلفظ انفاسه اخيرا ويترك على قارعة الطريق لتأكله النسور .

ليرتطم بلا عوائق في القاع المغلق العميق ، ليقطع ، ليمزق ما يكون .. اجل الى النهاية ، الى النهاية ، حتى النهاية .

بلا حواجز بلا جدران نتمسك بها، وحدة اعمى مظلمة وشعلة من احتكاك الالم ، هذا النور المرعب المدهش المتكبر الاعزل .

*

في الغرفة قبعت على الحصير تبتهل ، تنظر الى طلوع الفجر من فجوة في سقف الغرفة .. رجع اصوات مؤذن ، رجع اجراس، وصوت مكنسة رجل في الشارع يرفع عن الارض القذارة .

وتمضي في الشارع شامخة الراس معتدة ، ترقب حركات الهواء من حركة كيانها ، وفأرة قرب الرصيف تهرب داخلة مغارة .. والوقت ربيع والاشجار الباسقة خضراء والنهر بلا ماء وغيم رقيق يبتعد مع بائع متجول .

*

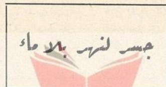
بحيرة رقدت بين احجار مرصوفة، يقترب عليها بجناح ابيض سرب من البط ، وعلى جزع شجرة تدلت قدما طفل اسمر يعض كعكة .

اوراق خضراء تتمطى ، تمتد ، تزحف على الجدار العالي حيث تلمع علب الكبريت الذهبية ، صاحبة الدار امراة انهكها الارق ، ليلها يعانق مستحيل الحب فيعتصر في كأس عينيها جفاف رمال التعب والارهاق والوحدة .

ويمتد جسر لنهر بدون ماء .

وتنطلق منه رائحة نتنة وكذلك عبر نافذة حانوت انيق يبيع عصير فواكه طازجة .

ومن باب بناية فخمة خرجت فتاة تهتز في كل خطوة تخطوها تكاد تتهاوى من نحولها ، يوم مولدها بلعت داء لا طعم له ، تمسك بيد رجل مخبول ورث عن ابيه ثروة ، تترنح الفتاة السقيمة من ضعفها وهو يواسيها بمسحة من ابتسام غبي يفرش كل وجهه ، والاوراق الخضر،



بقلم الآنسة رينه عبودي

تعانق الياسمين وتملأ حديقة الطابق الارضي .

جدهما كان رجلا بشارب غليظ قوي البنية يشد حبال الحرير على جدران مقبرة .

*

وتمضي في الشارع شامخة الراس والمطر يتساقط من حولها ، ومن النوافذ من خلف الستائر كانت عيون العجائز والصبايا المسنات يترصدن خطى المارين على الشارع . والشارع قطعة فضة خالصة وفي حقيبة يدها غلاف يحتوي على رسالة ، تومض في خاطرها شرارات من الامل لا يمكن مسها او اللحاق بها .



تسرع في خطاها .

رجل يعانق فتاة في سيارة تمضي بهما .

فتاة على الرصيف تستند الى كتف رجل لا تعرف طعم يده .

البريد ما زال بعيدا ، ابوابه كاسنان جبار لا يتعب تدور على نفسها .

سترقد الرسالة في الجوف لتمضي اليه. الف الف شرارة تومض ساحرة .

والمطر ما زال منهمرا مع الفراغ للناس وهم يعمون المنازل وقطرات الندى تتهافت من خيوط الشعر المستلقية بقرب بعضها البعض .

قطرات تسبح في النهر الجاف ، دودة صغيرة تتلوى ودراجة هناك تهوى بعد ان دفعها وحش «سيترن» احمر ، لا حراك ، ويد غلام ما تزال تشد تعصر مقود الدراجة ، كان يمكن ان يصبح هذا الفتى رجلا ، ان يذوق الحب مع خمور الخيبة والشك .. والحديقة كلها اشجار صنوبر ، كانت صغيرة فيما مضى حين غرست هنا ، ثم ضربها زمهرير احرقها ثم اعيد غرسها ، انها تملأ الحديقة العامة ، كثيرة ، كثيفة خضراء ، وبقيت يده تشد على مقود الدراجة .

*

انها قصة طويلة ، قصة رقعة صغيرة ، يمتلأ ركن فيها كل صباح وعصر مساء بالرجال ، يدخنون اراجيلهم ، وعلى وجوههم تعبير طفل ساذج دهش ، او هم يوزعون الورق على المنضدة الخضراء وقد لاحت على جباههم علائم التفكير يذكرون المرء باسكندر ذي القرنين او فاتح ما في الارض ، او هم يلتقطون احجار الشطرنج كرهبان دير متقشف او يضربون النرد بعصبية ضارب سيف يعرف من امره الكثير كعنتر ..ورجل في الزاوية اطلق عينه الفريدة كلسان اكل النمل يلعق بها المارة وينفث دخان ارجيلته ويلقي بين حين وحين اهازيج الفرح بالحياة لجار يشاطره المنضدة

الموعد الكاذب

***

ماذا بقي من يومنا المشرق … ما آن يا شقراء ان نلتقي
الظل يجري نحونا مسرعا … من قال لم نلحق ولم نسبق
شواطيء اللقيا على قربها … محفوفة بالعاصف المفرق
اخاف يطوي الليل اعلامنا … ويغرق الملاح في الزورق
مضى الربيع الحلو لكنما … للصيف غصن بعد لم يورق
في صدره المحموم انشودة … للطيب لم تسكب على مفرق
لا تجزعي ان فاتنا موعد … احب ما في العمر ان تصدقي

وديع ديب

القريبة من الباب .

وينشر الليل ضياء القمر ويوزع الدفء تنهد الصيف . وتدب انغام الجنون في مراتع الجمود فيقهر السحر وشاح السماء ، وباعتزاز طروب تتأمل وجهك في مرايا النجوم وينسكب الحب لتجرفه الكهرباء الى حيث اضواء النيون التي يمر بها طارق كل صباح فتترك كلامها للفجر فتصلي المراة القابعة على حصير في غرفتها ، وتفتح عينيها اكثر تلك المراة وراء الجدار الاخضر حيث علب الكبريت المذهبة ، فتكفر من جديد بالهالة الزرقاء القاتمة تحت عينيها بالشحوب كماء متعكر ، وتلمس بنهم متعب وكره رداء شيطان الشهوة .. وهناك يخرجان في نزهة من باب البناء الانيق، الفتاة المتوجعة السقيمة والرجل المخبول الغبي .. وتعود السيارة المسرعة تنقل محبين اوتسير تلك مع احدهم تحاول تقليد الحب مع رجل لا تعرف طعم يده وانما يصر الاثنان على المضي ودائما يدا بيد لاقتحام مستقبل رتيب لا غناء متهدج في ليله الطويل ولا بريق مرتجف كقلب طائر خائف جميل .. ويركن الرجل بعينه الفريدة في مقهى الشارع وتنقضم الساعات وحيوان الوقت لا يكل من علكها .

*

وتمضي في الشارع شامخة الرأس ومحفظتها فارغة .. اصبحت الرسالة جثة هامدة لا تعلم حتى اين قبرها .

*

وعلى الطريق فوق ذلك المقهى منزل يجهل عرف الوقت . قطع من خزف ، لعب مختلفة . فوق المقاعد، على المساند ، قطع مطرزة بالقصب. وفراشة ايضا مفروشة الجناحين زرقاء ، تحت الزجاج قد سجنت .. ومن سنين كانت تحلق في فضاء منور من بلاد تفصلنا عنها بحار وبحار . وفي الباب عين ، عين سحرية ، والهاتف نادرا ما يسمع له رنين ، وقطع الخزف لا تتحرك ابدا ، اما القصب المطرز فهو يبوح احيانا قليلة بالتعب وكذلك شعر المراتين .. انه عانس .

وبات الم يوشوش في داخلهما ، مجموع املاح واتربة مختلفة تتعارك داخل الثنايا ، والمياه الشافية على بعد اميال .. سمعت احداهما تقول مرة :

ترتفع قرب نبع المياه الشافية صيحات وصرخات ملتاعة ولكن الجنين دائما املاح واتربة مختلفة ...

وفي اقصى يسار الغرفة مذياع قديم ، الابرة فيه لا تتحرك ، كقطع الخزف كالفراشة ، كصورة الرجل على الجدار باوسمته الكثيرة العدد وقبعته المصنوعة من الفراء الغالي الثمن ..

***

وتسير شامخة الراس وفي نفسها فراغ لا حد له ، اغبرة كثيرة علقت بحذائها ثم غسلها المطر كما يغسل ارض الشارع ثم علقت اغبرة اخرى من جديد .

حلب — **رينه عبودي**

وداد سكاكيني

بقلم عيسى فتوح

***

«لا بد لنا من مغامرة فكرية وراء الملهمين ، لنلحق ولو قريبا بأجنحتهم التي حلقوا فيها ونتسلل الى الاغوار ، ونطيف بالبدائع التي استلهموها ، او بالمعاني التي صوروها ، ولا بدع اذا تدارسنا آثارهم ، وخلدنا ذكرهم ، وكرمناهم في الحياة وبعد أن يطوى الردى جسومهم ، فلولا هؤلاء الذين جلوا لنا صفحات الوجود ، وفتحوا امامنا مغالق النفس والشعور ... لما احسسنا بقيمة الفن والجمال ، والحياة بدونهما صحراء من غير ماء » .

لتسمح لي الاديبة السيدة وداد سكاكيني ان استعير من كتابها (سواد في بياض) هذا الكلام في مستهل الحديث عنها ، لانني احتاج فعلا الى مغامرة فكرية بعيدة المدى ، لالحق ولو قريبا بجناحيها اللذين حلقت بهما ايما تحليق في دنيا الادب النسائي في سوريا ... ولا ادري ما اذا كانت مغامرتي الفكرية ستستطيع التحويم جيدا في آفاقها العليا ، فترتفع الى مستوى آثارها المتنوعة المتوزعة بين القصة القصيرة والرواية والسيرة والنقد الادبي والمقالة .

واذا كان لاوروبا ان تفخر بكاتباتها من امثال : جورج صاند ، وكوليت ، وسيمون دي بوفوار، وسلمى لاجرلوف، وجورج اليوت ... فان للعالم العربي الحديث ان يعتز باديباته اللاتي تفوقن بالمواهب والتاليف من امثال : سهير القلماوي وبنت الشاطىء ونازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، وادفيك شيبوب، ووداد سكاكيني التي حملت رسالة ماري عجمي في دمشق ، ولم تعرف بلادنا قبل ماري من اوتيت مثلها ادبا رفيعا ، وشخصية مرموقة ، وقلما حرا صريحا ، فلما ظهرت وداد في باكورة آثارها « الخطرات » وكان من نتاجها وهي طالبة ناشئة ، توقع القراء لها مستقبلا لائقا .

على ان وداد سكاكيني لم تختصر طريق الادب ، ومعابره الضيقة ، وشعابه الصخرية ، كما فعلت بعض الاديبات المرتجلات ، بل مضت في السبيل الوعر الذي اختارته لنفسها ، وهي التي بنت نفسها ، فقد ولدت وتلقت دراستها في لبنان ، وتزوجت الدكتور زكي المحاسني من سوريا ، وعاشا في مصر زمنا طويلا ... انها كما قالت السيدة امينة السعيد في مجلة « حواء » « وحين يرد ذكر وداد يعتبرها كل شعب عربي واحدة منه ، فاللبنانيون يعتزون بمنبتها ، والسوريون يتمسكون بتوطنها وجنسيتها والمصريون يرون في انتاجها اصدق صورة للعقلية الادبية المصرية ، والحقيقة انهم جميعا مصيبون : ففي وداد نفحة من لبنان ، وعمق من سوريا ، وحساسية من مصر ... وهي اذ تكتب تحملك على اجنحة الادب الى آفاق هذه المجموعة من الصفات الثمينة التي اكسبتها توسعا فنيا ملموسا ، وطعمت انتاجها الفكري بشتى عناصر الادب العربي » .

قد يشوق البعض منا لو يعرف شيئا ما عن الفرق بين آثارها الاولى وآثارها الحالية ، ويتحسس النقلة الواسعة في اختيار الموضوعات وانتقائها ، في حرارة اللهجة ، وقوة النبرة ، وحماسة الكلمة ، ووميض الالفاظ ، وانتصارها الكبير للقيم والمثل والاخلاق ... بالاضافة الى مقالات اخرى عن الفن القصصي ، والشعر والشعراء والادب والصحافة .

ومهما يكن من امر فالصدق يسم ادب الكاتبة قديمه وحديثه ، لان غرضها الاصلاح اولا وآخرا الاصلاح في المجتمع والناس ، والسلوك ، والضمير ... اديبة في قلمها وحياتها ، تنشد الرفعة لبنات جنسها ، تريدهن مثاليات ، فوقيات ... هذا وبالرغم مما يكتنف البواكير عادة من اللين والتقصير ، فان مقالاتها فيها تعتبر انجح عتبة استطاعت ان تضع عليها الاديبة رجلها ثابتة مطمئنة، للوصول الى قمة الهرم من غير مرقاة .

للقصة عند السيدة وداد خصائص وطوابع وميزات لا تفارقها ابدا ، اولها هذا الغوص العميق والتحليل البارع لنفسيات ابطالها ، وبخاصة اذا كانوا من النساء ، وهذا دليل على ان المراة اقدر على فهم نفسية المراة من الرجل ، بحكم صلتها الوثيقة بها كام واخت وزوجة وجارة ومعلمة ومربية ، دع ان المجتمع الشرقي ما يزال يقني سلوك الجنسين ويحدده ، ليسير وفق خط محوري مستقيم ، هو خط الجنس نفسه ... من هنا نستنتج لماذا جنحت الكاتبة لاختيار ابطال قصصها من النساء ، ولم تعرج على الجنس الآخر الا في القليل ... ولعل هذا النجاح في تحليل عواطف المراة هو الذي جعلها تبلغ الذروة ، وتحلق في قصة « هاجر العانس » التي صدرت بها مجموعة « مرايا الناس » وقصص « الضرتين » و «رشيد المولوي» و « ابو تراب » وغيرها من الاقاصيص التي تصور بعض التقاليد السورية وعلى ذكر السبق القصصي في الادب الحديث بسوريا ، اجدني متطلعا الى بوادر التطور الفني في كتابة القصة العربية ، حين تجاوبت الاسباب وتعددت وكان لصحيفة « المكشوف » في بيروت منذ ثلاثين عاما فضل في ظهور عدد من القصصيين في سوريا ولبنان .

وقد اقامت هذه الصحيفة الادبية مسابقة للقصة عام ١٩٣٨ فاشترك في اول مسابقة ستون ربما غدا بعضهم اليوم من اقدر القصصيين العرب وكانت الفائزة بينهم هي وداد سكاكيني ، وعنوان قصتها السورية الناجحة «الشيخ حمدي » ، ولو اعادت نشرها اليوم لراينا صدق التصوير

في موضوعها ينطبق على ما تضمنت حادثة القصة وجوانبها .

والقصصية وداد تعتز بفوزها في هذه المسابقة لان الذين حكموا فيها من احرار الراي والفن والنقد ، وقد عرفوا بالتجافي عن المحاباة والمجاملة التي نراها من الوان التزييف في ادبنا الحديث .

و « مرايا الناس » ضمت اول مجموعة قصصية لوداد سكاكيني كانت قد استوحتها من طبيعة الشام وملامح الحياة والعادات فيها ، وتوالت مجموعاتها في القصة حتى كان آخرها « نفوس تتكلم » ومنذ اشهر قريبة ظهرت في المكتبة العربية بالقاهرة الطبعة الثانية من مجموعتها القصصية « الستار المرفوع » واكثرها قد نقل الى الفرنسية والروسية ، واتخذت من اول المجموعة في هذا الكتاب مسرحية اذاعية عنوانها « سيدنا الجنيد » .

وفي مجال الرواية كان للسيدة وداد قصتان طويلتان ، كلتاهما شامية الموضوع والمحتوى واللون ، احداهما « اروى بنت الخطوب » نسجت في مستهلها صورة رائعة للشام في قديمها الذي لم تتغير طبيعته وللمراة العربية في حفاظها ووفائها ، والرواية الثانية « الحب المحرم » صورت فيها النقلة الشامية بين القديم والحديث ، واضطراب الفتاة في دراستها وتطلعها الى الحياة الزوجية .

والسبب الاهم في اختيار ابطالها من النساء هو ان الرجل يستحيل عليه ، مهما اوتي من الدقة في التحليل ، ان يصف خوالج النفس في حياة لا يحياها ، وقلما يشعر بها او يحسها ، وهبه وصل الى شيء من ذلك فهل باستطاعته ان يشعر شعور المراة عندما تحب او ترضع او تلد ؟ والعكس نقوله ايضا ... لقد غمست وداد قلمها في مداد الحياة ــ كما تقول ــ فتناولت سير الناس وصورهم كاتبة قصصا في تحليل الطبائع والنفوس ، منقبة عن زيوف الطوايا ، من اجل جنسها الذي تريده ان يكون في حرز من اهل التغرير والتضليل .

ثمة شيء آخر في قصصها هو دقة الملاحظة ... فقلما تفلت منها جزئية صغيرة دون ان تنال نصيبها من المعالجة ، ولعمري ان دقة الملاحظة هي من اهم الصفات التي يجب ان تتوفر في القاص والا جاء تحليله ناقصا ، مليئا بالفجوات والثغرات ، وكان كمن يستبدل السير الوئيد بالقفز والجمز .

غير ان ابرز ما يلفت النظر ويثير دهشة الاعجاب هو رقي اللغة واناقتها ، فانت لا تعثر عند وداد سكاكيني على لفظ عامي او ساقط ، او على كلام حوشي ، او عبارة ركيكة ... تقرا نثرها الرصين فتشعر بحلاوة الالفاظ ورشاقتها ، تنتقيها بذوق الاديب البارع ، وتختارها اختيار الفنان الاصيل ، كما لو انها غرست غرسا ، وهيئت لهذا الموضع دون سواه ... ان الرصف الجيد والتلاحم الدقيق ، في تآخي الكلمة والكلمة ، هو الذي يضفي على اسلوبها هذا الرداء العربي المشرق ، فلا التواء ، ولا مياعة، ولا رخاوة ، ولا تقعر ... وكل ذلك في قالب من البيان المحبب . تطالعها فكانك تطالع عبد الحميد الكاتب او الجاحظ او ابا حيان التوحيدي في اجمل ما كتبوا ... ويزيد اسلوبها قوة هذا التوكؤ على الفاظ القرآن الكريم ، تنثرها في مطاوي قصصها ومقالاتها من حين لآخر .

وبالاجمال فاسلوب السيدة وداد يتميز بالقلم الرفيع ، والاسلوب المكين ، مما خلع على هذا الادب رونقا جديدا ، فاعادت للمراة العربية القديمة بذلك ، قيمة الاسلوب العربي الرصين ، حتى لتضاهي به كبار الكتاب ، وقد قدره اعلام الكتاب والادباء في مصر والبلاد العربية امثال : العقاد ، وطه حسين وعمر فاخوري ومحمود تيمور ، والزيات ، وكرد علي ، والامير مصطفى الشهابي ، وشهدوا لها جميعا بصفاء الاسلوب وعمق الفكر والثقافة .

ان كاتبة هذا شانها من الطبيعي ان تنتصف لكرامة اللغة من دعاة العامية ، فتثب وثبة الاسد الجريح لترد عليهم بجراة صاحب الحق السليب ، ودفاع المحامي الفطن ، لا يخشى في الله لومة لائم ... لان ضياع اللغة معناه ضياع الوطن والامة ... وهي لا تضن على المجددين والموهوبين المقتدرين بالتأييد والتشجيع شريطة « ان لا يكون انطلاقهم في التجديد على حساب اللغة التي هي الدعامة الاولى في قوميتنا وثقافتنا ، فاذا تغاضوا عن الاستخفاف بهذه الحقيقة فكأنهم يفرطون في حق العروبة والوطن ، وكم ضاعت امة بضياع لغتها » .

ويعجبني ان تبسط هذه الحقيقة الجارحة ، حقيقة من يبحثون عن الشهرة ، ويريدون ان يختصروا طريق الثقافة، فتقول : « وما كانت الدعوة الى العامية من هؤلاء الثائرين الا تبريرا لضعفهم في التعبير ، وايثارهم السهولة والسرعة كأن القارىء على نار يلح بمطالبتهم في اي منتوج ، وما اشبههم بخباز لا يكاد يدخل اقراص العجين الى الفرن حتى يخرجها غير ناضجة ، متوسلا بالسرعة لكثرة الانتاج والرواج ، وهذا الادب المتخفف المرتجل ، ظاهرة اجتماعية من ظواهر عصرنا المتسم بعصر العلم وابتلاع الاقراص ، وليست في ادبنا وحده وانما هي اليوم تبدو في الآداب العالمية كداء لا كدواء، وقد تناولها الادباء بالنقد والاستهزاء، واكثر ما تتجلى في الادب الشفهي الذي يذاع ويلقى وقد لا تنقله الاذاعة الى القارىء .

وهكذا تنطلق في نقد الادب الاذاعي فتشبه اصحابه بالمهربين الذين يسلكون المجازات لئلا يعرضوا بضاعتهم وامتعتهم للتفتيش .

وهي اذ تنعي على دعاة العامية بطلهم وتتهمهم بالضعف والركاكة ، لا تنسى ان تشرك معهم جماعة السطحية ، ممن اقتنعوا بالضحالة ، وقعدوا عن طلب الفكرة العميقة ، لئلا يزعجوا انفسهم بالدرس الحثيث والجهد المضني، واستجابوا بكليتهم للاذاعة تقتل وقتهم بالاحاديث السخيفة ،

والتمثيليات الباردة الفثة ، والاغاني التافهة الرخيصة ، اما السينما واما الصحافة فهما العدوان اللدودان للاديب يستنزفان وقته ويشوهان ما تماسك من ادبه .

ولا يروق الكاتبة اكثر هذا الذي تخرجه مطابعنا « من القصة الحديثة اذ ظهر متسما بالاناقة الشكلية حفيا بالعامية والفكرة السطحية ، لا الموضوع فيه معمق النظرة والخطوط ، معرب عن ومضات ابداعية وروعة جمالية ، ولا التعبير خال من الركاكة والتكلف والابتذال » ولا تقل نقمتها على الشعر الحديث من نقمتها على القصة ، لانه لم يحظ بالطاقة والثقافة الكافيتين ، وكل ما يصل الى ايدينا لا يتعدى « منظومات ومقطوعات لا هي بالنثر ولا هي بالشعر ولا بين ذلك ، تقرؤها فتجدها متفككة الوزن متداعية الصور ، سطحية المعنى ، وقد حسب اصحابها ان في رصف الكلمات المكرورة ، وتزويق حروفها تجديدا لا يعرفه الشعر العمودي بقوالبه التقليدية التي اعجزت النظامين الناقمين !!!. . .

وعلى هذا المنوال من النقد العنيف تستمر السيدة وداد في شن غاراتها على الكسالى من ادبائنا الجدد « فاين تلك الجلسات الطويلة التي كان يقضيها القارىء عاكفا على كتاب يحب ادبه ويتدارسه بشوق وتأمل ؟ لقد فارق الكتب احبابها ، وعلاها الغبار على الرفوف ، ونصبت فوقها للزينة وقنع العشاق المحدثون بزورات عابرة ، ونظرات خاطفة ، فليس للمثقف اليوم او المتأدب الا ان يطيف بعينيه في جريدة او مجلة ، راضيا بالمقال الخفيف والنبأ المثير ، والصورة المغرية ، او يدير مفتاح المذياع فيسمع حديثا مستعجلا او تمثيلية هزلية خفيفة . . . »

ان المقالة النقدية في شتى الوانها هي جزء هام لا يتجزأ من ادب السيدة وداد سكاكيني تنقد بصراحة فائقة دون مواربة أو محاباة . . . حريصة على ان تبقى كلمة الادب هي العليا .

وقد يمازج نقدها شيء من الحماسة والانفعال ، وبخاصة عندما يكون الامر ذا مساس بقضية المراة التي اتهمها اعداؤها بالقصور والمكر ، وراحوا يحملونها ، زورا وبهتانا ، كل وزر ، ويجعلونها مصدر كل شر وغدر وخيانة . . كلما دق الكوز بالجرة قالوا فتش عن المراة . . . منذ بدء الخليقة واعداء المراة يرمونها بالغدر ، ويلصقون بها كل خطيئة ، وهم لو وعوا قول السيد المسيح « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » لاستحيوا من انفسهم وخجلوا من ظلمهم .

والحق كل الحق في ما تقول صاحبة «انصاف المراة» من «انها ابدا مرآة لميول الرجال واهوائهم الظاهرة والباطنة، وكيفما يكونوا يكن ، فهم اذا شاءوا جعلوها ملاكا ، او مسخوها شيطانا ، هي نبع فاشربوا منه سائغا طهورا ، ولا تعكروه بالقذى أو ترموه بالحجارة . . . فتشوا عنها في الامومة الرحيمة فهناك اقصى غاية الجود والتغذية : تسهر لينام اطفالكم ، وتجهد ليستريحوا ، وتغذيهم بالروح مهما اساءوا . . . »

ليس بين اديبات سوريا من اشرعت قلمها فخاصمت ودافعت وردت بقوة البراهين وسطوع الحقيقة ، وتأييد الحجة والمنطق مثلما فعلت وداد سكاكيني . . . فقد حاولت ان تستعيد للمراة اعتبارها الاول ، وقيمتها الضائعة من ضمائر الذين لا يعترفون لها باي فضل او سبق او المعية . . . انها في نظر هؤلاء ــ وعلى راسهم توفيق الحكيم والعقاد ــ « لا تحسن انشاء القصص التمثيلية ، ولا تستطيع ان تكون موسيقية تبتكر الالحان » ويرى العقاد « ان المراة لا تجيد من الفنون غير فن الرواية . . . وانها لم تنبغ حتى في ما هو اقرب اليها واحرى ان تتفوق به على الرجل وهو الرثاء ، واذا كانوا يضربون المثل بالخنساء فانه ليس في ديوانها غير ابيات متفرقات في البكاء لا ترتقي الى منزلة الشعر السيار ، اذ كله تكرير لمعنى واحد ، ولا يصح ان يقال انه معنى من معاني القريحة والخيال . . . وانها ليست بشاعرة مبتكرة ، بل هي مقصرة ومكررة لان الشعر ابتكار واقتدار » ويستمر العقاد في تهكمه وتجريد المراة من كل مزية ، فيعريها من المواهب حتى يسلبها القدرة على التصوير كالتمثيل وباقي الصناعات الخاصة بها من طهي ووشي وزينة وخياطة .

هذان الرايان الخطيران المتطرفان اقاما دنيا السيدة وداد واقعداها ، وبخاصة لانهما يصدران عن اديبين كبيرين ، فانبرت تناقشهما وتبطل صحة رايهما في اكثر من مقال واحد . . . وتذكر لهما النساء اللواتي تفنن وتفوقن في التمثيل كساره برنار وغيرها ، وتبين ان في نفس كل منهما مركب نقص ، وعقدة نفسية لا تحل وثاقها غير المراة التي اقفرت من دنياهما ، فكلاهما اديب عزب (1) وعن النساء بمعزل ، فلا غرو ان يريا هذا الراي ، ويحكما هذا الحكم ، بل لعله من الطبيعي جدا .

وبعد ان تعرج على ذكر من ناصبوا المراة العداء ــ وان يكن عداء طفيفا بعض الاحيان ــ كالمعري وشوبنهور وآرثور ونيتشه والمازني وزكي مبارك ومحمد كرد علي ، تقول لهم هذه العبارة المفحمة : يا اعداء المراة لولا نساء اظلمت عليكم قلوبهن فلم تدخلوها ، لما كانت عداوتكم ، واذا دعوتم الى تحقير المراة والبطش بها فان وراء دعوتكم تشفيا وانتقاما ، فقد يكون الدهر ابتلاكم باهواء الحسان ، او بلوتم زيوف النساء ، فتجافيتم عن الخوالص الصحاح ، وقد ثبت بالعيان والبرهان وفي شواهد التاريخ الادبي والسياسي ، ان عداوة المفكرين للمراة لم تكن لوجه الحق.

ان من يقرا « انصاف المراة » ويفتح صدره للحقيقة لا بد ان يلمس صدق اللهجة ، وحرارة الشعور ، ودفء العبارة ، ويحس بغيرة المؤلفة وحرصها الكبير على بنات

(1) كتبت هذه المقالة قبل زواج الحكيم .

جنسها ليبقين ريحانة الوجود ووسيلة الخلود ... افنضن عليها بعد هذا بلقب « محررة المراة » ؟ ... لا اظن ان هدى شعراوي ، وقاسم امين ، وباحثة البادية ، ومي زيادة ، وجرجي نقولا باز ، وماري عجمي ، ومحمد جميل بيهم وغيرهم وغيرهم ... لا اظن هؤلاء جميعا خصوا المراة باكثر مما خصتها السيدة وداد سكاكيني ، ولا حملوا لواء الذود عن كرامتها وحقوقها الطبيعية المقدسة مثلما حملت ... ومع هذا كله لم نسمـع انها اختصت بوسام ، او قدرت بحفلة تكريم ، او منحـت جائزة من الجوائـز ، وان كان الشعب منحها ثقته وتقديره في كل سانحة وفي مختلف الارجاء .

نعم لو كتبت وداد سكاكيني قصصا محمومة على النسق « الساغاني » المستهتر ، قصصا يفوح منها الجنس ويسيل لعاب الفريزة الرخيص ، لتسابق اليها المادحون ، وجعلوها ادبية عصرها ، ولانبرت الصحف والمجلات تقرظ كتبها ايما تقريظ ، وتسرف في تبجيلهـا ايما اسراف ، ولكن وداد سكاكيني لم تعر هذه الدعوات الرخيصة اي اهتمام ، بل مضت تؤدي رسالتها الادبية بصمت العباقرة ، ورصانـة العلماء ، لها من تربيتها المحافظة وطبيعتها ما يؤيد اتجاهها المرمـوق .

ان صحيفة اضاعت رسالتها فبقيت دون هدف ، تطلع كل يوم بل كل ساعة اديبة يضطرب لها الشرق ، ويتهيب من سحر قلمها ، حتى لكانه عصا موسى ... ولو بحثنا في حقيقة هذه الاديبة المزعومة ، لرايناها احدى المراهقات التافهات ، ممن يبعن انفسهن بارخـص الاسعار وازهـد الاثمـان . كسدت في سوق الـزواج فاباحت نفسهـا للشرهين ، مم يسمون انفسهم ادباء وصحفيين ، ليجعلوا منها « ساغان » جديدة ... تلك هي مأساة الادب النسوي المعاصر في بعض اقطار الشرق العربي مأساة لا ادهى ولا امر ... يتألم لها ذوو الضمائر النظيفة ويندون بمروجيها فيتهمون بالرجعية والتزمت ، وجمود الفكر والتعصب .

ومهما تكن العاقبة فان صاحبة الوجدان الحي كوداد سكاكيني ، يؤذيها ان تسكت عن تلك المخازي الادبية يمثل ادوارها ابناء الجيل وبناته على مسرح الحضارة والتقدمية ويؤلمها ان تئد في صدرها نور اليقين ، فتهب معلنة سخطها على تلك الكتب التي انشئت « باقلام فجة محمومة تصور المراة والفتاة في دنيا العرب عائشة فـي تفاهات صنعهـا المجتمع وقيدها بها ، اقلام ملتهبة الاداء مواجـة بلهاث الفريزة والجنس ، تصـور الانفلات فـي اقصى صوره واطواره ، بل هو انطلاق احمق وراء كل جديد مستورد ، سواء كان فيه الخير او الشر ، لم تصنعه حضارة غربيـة او شرقية عربية ، وانما صنعته الطوية المنحرفة ، والتربية الرديئة ، وحب الظهور بمخالفة المألوف ، لتلفت نظر الجمهور وتضمن لاصحابه كسبا قريبا ، وادبا مهما يكن شأنه ولونه »

« لقد زعم الرجل بأن المراة اقدر منه ، وهي اديبة ، على تصوير نفسها وعالمها منه ، وصدقته المـراة فاستجابـت لدعوته متغزلة به تارة ، وتارة ثائرة عليه ، باحثة عن حريتها التي اغتصبها منها ، حتى انطلقت في حلقة مفرغة لا تدري كيف تدور فيها على ذاتها ، واذ باقلام غثة فجة تدوخهـا الدوامة « الساغانية » ويستهويها ثناء الرجل الذي يطالبها بان تحيا على خاطرها ، وتعبر بقلمها عن خفايا هذه الحياة ، دون خجل او تخوف ، على ما يسمى بالتقاليد التي صنعتها بزعمه المجتمعات المتخلفة . انه يريدها ان تعرى نفسهـا وحسها بيدها ، وان تتغزل به وبمفاتنهـا ، فيسمعه منها ويقرؤه بأدبها ، واذا بهذا الادب القيم والعادات خرافات وسخافات » .

تلكم هي وداد سكاكيني في صور من بعض قصصهـا ومقالاتها التي تكشف النقاب عن كل زيف واعوجاج وضلال وتلقى من جرائها خصومة المنحرفين وكيد المستغلات .

لقد تطلعت اديبتنا الى سماء العرب في ازهى عصورهم ، فابصرت فيها كواكب نسوة ساطعات بهرها تألق نورهن ، وغمرها شعاع من ايمانهن واحسانهـن ، فاختارت منهن اربع عشرة واحدة فيهن : ام الزهراء ، وام الحسين ، وام

الزمن والموت

•

كان الخطيب ينزلق كالسمكة
في شباك الكلمات
سيداتي : هاكم قلبي وافتحوه
فستجدون فيه : طيورا ميتة
وأشرعة واقواس قزح .
كان الخطيب ينزلق ،
وكان الليل بلا نهاية .
سادتي : هاكم معجزة اخرى
ساعة تدور عقاربها بالمقلوب ،
تقاويم للحزن ، والشيخوخة
هاكم عصفورا من ذهب خالص
اصطدته في رحلاتي
في الاصقاع النائية الشمالية
كانت العيون .. كانت الآبار المسمومة
تطارده في كل مكان
فليل العالم لا ينتهي هنا
الخطيب يسقط جثة هامدة
الجمهور يصفق .

هند نوري

المؤمنين وغيرهن من فضليات العرب ، وكن حجة التاريخ على الرجال ، فطفقت تقلب في البحث عن سيرهن واخبارهن بطون التراجم ، ومتون التاريخ ، تجمع من هنا خبرا ومن هناك سيرة ، حتى جلت ذلك كله في صور فنية تأنس بها النفس ، ويهفو اليها الخاطر .

لقد قصدت من كتابها « امهات المؤمنين وبنات الرسول » ان يكون نبراسا للفتاة العربية تهتدي به ، ومشعلا ينير الطريق امام كل ام لتعرف كيف تربي اطفالها على النبل والايثار والوفاء والتضحية .

وما دمنا في معرض كتابة السيرة فلنذكر كتابها القيم « نساء شهيرات من الشرق والغرب » الذي اشتركت في تأليفه مع السيدة المصرية تماضر توفيق وهو يحوي عشرين ترجمة لاشهر النساء اللواتي نفعن العالم ووهبنه قسطا كبيرا من جهودهن في الحياة التي عشنها في القرن التاسع عشر او العشرين ، وقد قامت السيدة وداد باختيار النساء العشر من بنات الشرق العربي اللاتي كن من الرائدات المجاهدات في نهضتنا الحديثة .

بقي هنالك نجم نسوي متألق لم يشرق في دنيا ترجماتها القصيرة حتى الان ، مع انها تقصت الوجوه الانثوية الوضاءة كلها في كتابين اثنين .. ولكنا لم نكن لندري انها تخبىء هذا الوجه لتبرزه محاطا بهالة من نور سماوي يخطف الابصار ، فنقف ازاءه حيارى ضائعين في غيمة الابدي ..
هذا النجم كان قد « طلع في سماء البصرة العراقية آخر القرن الاول للهجرة ، تسلل نوره الى المجالس والبيوت ، وسطع فيها كالثريات ، وبقي مرموق الضياء حتى هوى في أعقاب العصر الثاني للهجرة ، متحولا الى احدوثة لا تنسى ، خلدتها السطور ، ولهجت بها الالسنة ، وتداولتها بالذكر والتأليف طائفة من الباحثين في القديم والحديث » تلكم هي رابعة العدوية (العاشقة المتصوفة) التي جلا قلم السيدة وداد عن سيرتها ما علق بها من حيرة وتناقض وغموض ، فكانت من اجل الدراسات في السيرة ، وقد قامت الدعايات لترويج مؤلفاتعن رابعة العدوية لم تسلم من المآخذ والتلفيق .

ولمصر تأثير عميق في حياة هذه الاديبة وثقافتها ، فهي السورية الوحيدة في زماننا التي اقامت بضعة عشر عاما تحت سماء وادي النيل ، عندما كان زوجها يحضر للدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة ،وابان وظيفته مستشارا ثقافيا لسفارتنا قبل الثورة المصرية وبعدها ، ثم في ايام الوحدة ، وحين كان اولادها يتلقون الدراسة ، وكانت هي تقدم انتاجها واحاديثها من اذاعة القاهرة ، ومن دور النشر والتأليف فيها .

لقد ساعدت هذه الفترة على تألقها الفكري ، وفتحت امامها مدى واسعا للتعرف الى الحياة الادبية المصرية المعاصرة خير تعرف ، فشهدت الندوات والمحاضرات لكبار اعلام الفكر والادب من مصريين واجانب ، كما استطاعت ان تفتح النوافذ على الادب الشامي ، فتعرف المصريين بنتاجنا المحلي في محاضراتها واحاديثها واجتماعاتها الفكرية ... وهكذا فاعل ادبها بين ادب البلدين ، ومازج ما وسعه التمازج وان بقيت هنالك فوارق جزئية تمهر كلا منهما بطوابع اقليمية خاصة لا تزول .

ومهما يكن من امر فان طبيعة مصر وطرائق الحياة فيها، واختلاف انماط اهليها : في ازيائهم وعاداتهم وتقاليدهم ، في اذواقهم وتفكيرهم واميالهم ، في افراحهم ومآتمهم واعيادهم ... كل هاتيك الصور اخصبت ذهن الكاتبة واغنت خيالها ، فراحت تسجلها في قصصها التي نشرتها تحت عنوان « بين النيل والنخيل » .

تقول الاديبة: « تدور بخاطري هواجس القصة، واشتاق كتابتها عن القاهرة الساحرة ، لا اتخيل ابطالها وشخوصها من الجن والوهم ... وانما آخذها من مصر في ماضيها الاصيل وحاضرها الموصول به ، فاجعل رجالها من اهل القفطان والجلباب ، ومن المشايخ الذين تزين رؤوسهم العمائم البيض وتهتز مناكبهم بالشال الموشى ، واصور نساءها الشعبيات بالملاءات السود الملتفة على قدودهن الرشيقة وقد ضربن على وجوههن بالبراقع ذوات الخصاص ، ونصبن القصبات المذهبة على الانوف ، ورحن يخطرن في ميدان السيدة زينب وفي منعطفات بولاق ، تخفق في ارجلهن خلاخيل الفضة ، وتهوى اقراط الذهب متدلية من آذانهن كالاهلة ، وفي سوانح الليالي تحت ضوء القمر ، ادير التحاور بين هذه الشخوص في ذهبيات وعوامات تترنح فوق النيل او ترسو في ظلال النخيل » .
اما كتابها « مصر كما عرفتها » فسوف يحمل انطباعاتها وذكرياتها وصور مصر قبل الثورة وبعدها .

بقيت الناحية الهامة في شخصيتها وحياتها ، وهي الامومة المثالية والزوجية الفضلى ، لا يصرفها اي شاغل عن رعاية هذه الوظيفة الطبيعية . اما النقد الادبي الذي مضت فيه مع القصة جنبا الى جنب ، فقد جعلها من المعدودات الثلاث او الاربع في عالمنا العربي ، او بالاحرى في مصر وسوريا والعراق ، وهذا المراس الشاق لم تستطع مشاركة النقاد فيه الا هؤلاء العربيات المعدودات اللاتي يقمن برسالة النقد في معرفة وشجاعة واقتدار .

وقد اشار الى هذا الامر في ادب وداد سكاكيني مقدم كتابها « نقاط على الحروف » الناقد الكبير الدكتور محمد مندور .. ومهما يكن الكلام على انتاج الاديبات السوريات، فان ادب وداد سكاكيني يبقى في الطليعة باصالته وصدقه، معززا نظرة الاعتبار والايمان بمواهب المراة العربية الحديثة ذاكرا « ميا » وباحثة البادية وسلمى صايغ و « العجمية » وامثالهن من السابقات اللاتي مهدن الطريق للنابغات بعدهن فحملن بجد واخلاص مشاعل الفكر والادب وكانت منهن اديبة الشام السيدة وداد سكاكيني .

دمشق — **عيسى فتوح**



عيسى الناعوري

شاعران ايطاليان في احدث آثارهما

بقلم عيسى الناعوري

على هذه الصفحات من مجلة الاديب الزاهرة يطيب لي ان اعود اليوم فاقدم كتابين شعريين جديدين ، هما آخر ما صدر للصديقين الشاعرين : البريكو سالا ، وليناً انجوليتي ، اللذين سبق ان قدمتهما الى قراء الاديب بما ترجمته من شعرهما في عدد فبراير ١٩٦١ (عن الشاعرة لينا) وعدد ابريل ١٩٦٢ (عن البريكو) . وليس من قصدي ان استعرض الكتابين او اقدم دراسة نقدية لهما ، وانما يهمني ان اترجم شيئاً من كل منهما بعد ان اعرف بصاحبه وبموضوعه تعريفاً سريعاً .

١ ـ حب انتهى الى الاخفاق
UN AMORE FINITO MALE

الكتاب الاول قصة حب شعرية ، سجلها صاحبها الشاعر الشاب البريكو سالا Alberico Sala في خطرات شعرية عديدة بلغت ثمانين مقطوعة ، وجاءت في نحو ١١٦ صفحة من القطع الصغير . وعنوان هذه القصيدة ، او القصة الشعرية ، الطويلة هو (حب انتهى الى الاخفاق) . ولعل خير تعريف بهذه القصة الشعرية الجديدة ما قدم لها به الناشر (ارنولدو موندادوري ـ ميلانو) وهو : « شخصان ، ومدينة ، والناس : هذه هي العناصر الرئيسية للملحمة الحب هذه التي يقدمها البريكو سالا . اما البيئة فهي منطقة لومبارديا ، حتى حين يندفع النظر الى اماكن اخرى في اوروبا واميركا . واما مادة الكتاب فهي ذات صلة بالشعر ، والحب ، والاماكن ، والاشياء . ان شعر البريكو سالا مستوحى ، في العادة ، من ظروف عاطفية لا ينطوي فيها على نفسه ، بل ينفتح على مضمون اخلاقي وانساني اوسع وارحب . وهو لا يعتمد على الغنائية والتفجع فحسب ، بل على الحوار ، وبمعنى مزدوج ، اي بين كائنين يبحث كل منهما عن الاخر رغم التوافق او الاختلاف السيكولوجي ، وبينهما وبين العالم ، او المدينة ـ التي هي قبل كل شيء مدينة ميلانو ـ ميلانو الصناعية العاملة » .

وقد ولد الشاعر البريكو سالا في (فايلاتي) في ١١ مارس ١٩٢٣ ، وعمل في الصحافة منذ عام ١٩٤٥ ، وظهر له حتى الان ستة دواوين شعرية ، من اهمها ديوانه (وتزداد الصعوبة دائما) الذي فاز بجائزة (تشيرفيا) عام ١٩٦٠ . وله ايضا رواية نثرية عنوانها (السجن الاخضر) ظهرت عام ١٩٥٨ . وقد ترجمت قصائده الى الانكليزية ، والفرنسية ، والالمانية ، كما سبق ان قمت بترجمة بعضها الى العربية(١) . ولقد قام الشاعر برحلات الى مختلف انحاء اوروبا واميركا ، كما يبدو من قصائد قصته الشعرية الجديدة التي نظمت مقطوعات متعددة منها في اماكن مختلفة من اميركا واوروبا . وهو يعمل الان محررا ادبيا وناقدا سينمائيا في جريدة (كوريري ديلا سيرا) الكبرى التي تصدر في ميلانو منذ نحو تسعين عاما .

في هذه القصة الشعرية الجديدة يسجل الشاعر وقائع حبه في مختلف حالات الرضى والغضب ، كما يسجل مشاعره في اللقاء والجفاء ، وفي القرب والبعد . حتى ان بعض خواطره الشعرية يبدو في غاية السذاجة. وقد احببت ان انقل ههنا عددا من المقطوعات التي تصور مختلف اطوار هذا الحب ، ومختلف المشاعر واللحظات التي يصورها الشاعر في حبه الذي انتهى الى الاخفاق ، اخترت بعضها من اول الكتاب متتابعة ، وبعضها من القسم الاخير منه . ويلاحظ القارىء المسحة الرمزية الخفيفة في شعر البريكو سالا ، الى جانب الواقعية في اعطاء الصورة المباشرة للحظة التجربة الشعرية .

تحترقان معا — **BRUCIANO INSIEME**

من بين الف وجه ، في السينما المعتمة
تبحثين عني . ويوم الاحد ، والحر والعتمة لا تسمح بفسحة .
وفي الممر المبتل تتحول الى رماد
السيجارة التي عليها آثار شفتيك
وتتبعها سيجارتي طائرة : فتحترقان معا بهدوء .

متقدمة ومتأخرة — **ANTICIPO, RITARDO**

من المؤكد انك انت التي تلحقين بي
متأخرة ، في الاماكن المكشوفة

(١) عدد ابريل ١٩٦٢ من مجلة الاديب .

وانا في خلوة . كيلومترات من هواء العيد
وموتورات فرحة . انني اعرف كل حجر .
في الحانة الرومانية ، والقناني
على الموائد ، والفراخ تلمع
اكثر من النحاس المعلق على الجدران
وانت قد غادرت المكان . وفي الفندق
الفلورنسي ، والمطر يصفع الزجاج ،
يفوح عطرك .
ومن داخل رفوف الكلية الزرق
يتعالى التصفيق
فيتموج في سمعي الان ،
وانت في الغرفة المتواضعة
التي يغمرها (البارما) بالظلال المتأرجحة على التلال ،
تصغين الى ضحكة احدى الصديقات .
وعلى الشاطىء الذي اخلي للرياح
لا يدرك الخادم
معنى النخب الذي اشربه وحدي :
نخبك انت التي تأتين دائما
اما متقدمة عني واما متأخرة .

ان كنت تهزلين — SE TU SCHERZI

لم تعودي تصدقين احدا : وتتساءلين
الى اين تذهبين ، ولا تبحثين عني .
على جدار اللبلاب والمسك
تنحني نحيلة قامتك العالية .
وتقولين : لو طحنتني السيارة الصاعدة بغتة
فيتلطخ وجهي بضوء القمر ...
ولست ادري حتى ان كنت تهزلين !

•

البريكو سالا — ALBERICO SALA



لم نتفاهم — NON CI SIAMO CAPITI

عطلة اب تحملني الى البلدة
التي احسست بها على فراشك
(وامك كصمغ الصنوبر ، تدلك
باصابعها بنعومة من حول جرح احشائك
ظنا منها بأن ستزول البتلات الوردية) .
وهنا ما تزال تختلط الظلال
عند المساء على الجدران ، كورق اللعب .
ويهرع الاطفال ،
كطيور السنونو الشتائية ، فوق الحقول .
وفي المساء الذي ينزلق
انزلاق الغطاء عن اكتافنا ،
اظن من السهل
ان نحيا ههنا ، ذاكرة وديعة .

***

في الفندق حيث يتأخر الوسيط
عن وضع يده
على كتف الرجل الغافل ،
تلعبين بصحون الفضة المجوفة
التي وضع عليها الشيخ رسومه
مع بياض انفاسه .
اننا لم نتفاهم ، ولن نتفاهم ابدا
والايام مبللة بالثلج :
وانا في عودتي الى منزلي ليلا امر في المدينة .
التي حفرتها المياه ، خلف الجدران الشاهقة .
واصوات البهائم في الحظيرة
تفتح امامي ريفا من السنابل مكسوا بالثلوج

العالم يرقص — IL MONDO DANZA

اثنا عشر شهرا ، سنة ، ونعود فنلتقي يا حبيبتي
في المدينة الماكرة . والنور يلمع
على حصباء الدار .
(وفي المساء يروي الفيلم قصته
ونروي نحن قصتنا :
واصابعك بين اصابعي ، في الظل المرتعش) .
اثنا عشر شهرا ، وما يزال خريف الضباب .
علينا ان نتشجع لنستعيد
ذكريات ايام الغضب والحسد ، والصراخ الليلي ،
والبحر في قنطرة الفحم .
اثنا عشر شهرا ، العالم يرقص على بركان
ويلهو باعداد الموتى — ونحن من دون حراك
ننظر الى شعاع القمر الرقيق ،
وبذاكرة مجلوة نجعل راس السنة مضاعفا .

الميت IL MORTO

فراغ الاحـد يتركنا
في المدن التي تهمنا وحدنـا ،
معرضين للشمس التي دفنت قبل اوانها ،
والنسيم الذي لا يحرك اوائل الاوراق .
ههنا اسـير خلفك ،
والمس في صوتـك غبطة
لوجودنا معـا ، اليوم ، على البحيرة الصديقة .
انها ما تزال ، في نظرك ، تعهدها في الصيف :
يخدعك فتورها ، فتقولين :
« اود ان استحم » . وانا ، بملء الصفاء ،
اتظاهر بالموت خلف كتفيـك
لكي تمسكي باصابعي ،
وتدفعي بي بين القوارب المتراصة .

العش المشرعة ابوابه IL NIDO SPALANCATO

الصوت ينبيء عن قربك ، ولكنك لا تجيئين . . .
وفي المدينة ذات الطرق المحطمة ، والجنيات
النائحات بين الاشجار ، ابحث عنك .
ولكن عيني معلقة على الحد الرمري
من ناطحـة السحاب . وقلبي
ضحكة الهاتف على السرير ،
ووجهك الذي يشق المطر
وينظر الى العش المشرعة ابوابه .

نهـر الصمت FIUME DEL SILENZIO

هل ترين ؟ لقد اكتملت استدارة القمر
مره اخرى ، لتقنع المدينـة
في الخريف . وانت في هذا الجحيم ،
اين انت ؟ لعل خطاك تنقر الان
حجارة الطريق خلف منزلي ،
او في (سان سيرو) ، تتابعين انفاس الجياد
الممتزجة الان بالضباب .
ان خيط الهاتف الاسود لا يفيد
في اكتشافك . فليس من حياة
على الطرف الاخر من الهاتف . انها الحرية الكبيرة
التي تمنحك اياهـا ميلانو .
ومعـذرة
اذا انا اغتنمت هذه المناسبة . انني ابحث عن الفاظ
لك انت ايضاً ، في نهر الصمت هذا .

عيـد الفصـح PASQUA 1963

ثلاث سنوات وانا انتظر ذليلا
ان تصبحي شيئا انسانيا .
لقـد افلحت في اقناعي
بانني في وحدتي على صواب .
لقد حطمت بعناد اشد من عنادي



لينا انجوليتي LINA ANGIOLETTI

•

كل محاولة لادراكك . وفي محفظتك
تحملين وهما بانني
ما ازال ممن يعرفون الصبر ،
ويخشون الاساءة ،
ولذلك يرضون بالعذاب
في عيد الفصح يدعونا الاصدقاء
الى هذه البحيرة او تلك .
وانا انتسم غيوم الاشجار المنورة
العابقة كالبخور ، وازور موتاي الاحباء .
فانا الان ، بعد ان بلوت الخيانة
لم يعد قلبي يثق باحد سواهم . وطنين الزنابير
على الازهار الاتية من الريفييرا
(حيث لعلك تحطمين الان نفسك حسرة)
لا يزعج الطمأنينة الكئيبة التي منحتنيها .

واحـد وواحـد UNO PIU UNO

اقتنعي ، لقد قضي الامر : سنين طويلة
ظللنا نؤمن بان (واحد + واحد)
يساوي بالنسبة الينا واحدا فقط .
لقـد خرجت نهائيا
من حقلي ، فلن تسيئي الي بعد الان .
سيكون البيت الجديد مهيئا في الربيع
ولكنك ، لحسن حظي ، لا تعرفينه ،
لم تلمسيه ، ولن يستطيع صوتك من خلفي
ان يقطـع صمتي .
وهكذا سيكون في وسعي ان استعرض الذكريات
دون خشية من ان تعودي
بوحشية طفولية لتبعثريها .

٢ ـ قصائد العصر الذري

POESIE DELL'ERA ATOMICA

اما الكتاب الثاني (قصائد العصر الذري) فهو مجموعة قصائد مختاره من احدث شعر الشاعرة الانكليزية اديث سيتويل قامت بترجمتها الى الايطالية الشاعرة لينا انجوليتي ، التي سبق أن قدمتها لقراء الاديب مع ترجمات من شعرها ، في عدد شباط ١٩٦١ ، وتولت دار (تشيتو دل دوكا) للنشر في ميلانو نشرها في سلسلة منشوراتها المعروفة باسم (المنشورات العالمية) .

والكتاب مخرج اخراجا انيقا ، ويزيد في قيمته انه يجمع بين الاصل الانجليزي على صفحة ، والترجمة الايطالية على الصفحة الاخرى المقابلة لها . وهذا مما يزيد في الثقة بالترجمة الايطالية التي وفقت فيها الشاعرة الايطالية السيدة انجوليتي توفيقا غير قليل . يضاف الى ذلك ان المترجمة قد قدمت للكتاب بمقدمة طويلة انصب قسم منها على الاهتمام بنبوغ المراة الشاعرة ، وهو ما تعتبره لينا شيئا نادرا في التاريخ .

والواقع ان هذه المقدمة جديرة بالذكر والاقتباس . لانها ترينا كيف استطاعت المراة الشاعرة الايطالية ان تفهم زميلتها المراة الانجليزية ، وتقف على خفايا نفسيتها وشاعريتها معا ، وان تلمس زوايا العظمة في نفسها وفي شعرها ، على الرغم من ان « اديث سيتويل قد قوبلت بمقاومة شديدة في بلدها نفسه ، وما يزال الكثير من النقاد ومن القراء الى اليوم لا يستطيعون ان يدركوا عظمة شعرها » ، كما تقول في المقدمة . وهي تضيف مؤكدة أن « شعر اديث سيتويل يعلن بوضوح ان ضمير المراة الشعري ، في تاريخ الشعر المعاصر ، قد اخذ يتحرك من ظلام الرقاد الابدي نحو النور الاكمل ، كحرارة محيية راحت تتلمس معرفة السماء والارض ، حاملة الى الجميع ، رجالا ونساء ، شعر الحب ، والمعرفة ، والسخرية ، والرقة ، والالم ، والوطنية ، التي لم تبلغها قط تلك الجذور الارضية السليمة الحارة التي هي من خصائص المراة » .

ان لينا انجوليتي تعتبر ظهور شاعرة عظيمة مثل اديث سيتويل امرا جديرا بالتنويه والاهتمام الكبيرين ، فهي تبدأ مقدمتها بقولها : « في مدى التاريخ الادبي ، العالمي لا الانجليزي وحده ، يندر العثور ، بين كبار الشعراء ، على امرأة » . ثم تضيف بعد كلام طويل : « وطبيعي ان الجميع يعرفون انه قد ظهر بعض الشاعرات الكبيرات في تاريخ الآداب ، ولا حاجة الى ذكر اسمائهن القليلة العدد » . ثم تمضي في التعريف باديث سيتويل ، فتذكر انها « ولدت عام ١٨٨٧ في اسرة عريقة انكليزية ، وقضت طفولة تخللها بعض الشقاء رغم كل مظاهر الترف التي كانت تحيط بها ، والتي من شأنها ان تهيىء السعادة لاي طفل . والواقع ان هذه الطفلة كانت ذات مزايا خاصة ، واذا كانت البيئة التي وجدت فيها تساعد على تنمية حب الجمال والشعور به في نفسها ، فان فقدان الحرارة في الترابط العائلي ، من الجهة الاخرى ، كان يضطرها الى كبت مشاعرها ، وارهاف افكارها واحاسيسها ، ودفعها مبكره الى حب العزلة ، بكل ما يرافق هذا الجفاف الاضطراري من كآبة . ومن المؤكد ان آلام الطفولة قد ادت الى ازدهار رائع في الافكار ، وفي المعرفة ، وشعوذه في الخيالات والاوهام ، والى الرغبة الجاده في الدخول الى كل قلب للبحث عن تلك الخصائص الشخصية التي لم تتوصل الى معرفتها كما يجب في سني حياتها الاولى » .

ثم تمضي المترجمة الايطالية فتتحدث عن شعر زميلتها الانكليزية ، وتحلل شعرها تحليلا يدل على مرافقة حميمة وادراك عميق له ، وتجاوب صميم معه .

ان مؤلفات اديث سيتويل الشعرية التي وضعتها في مدى خمسين عاما من عمرها ، ذات شهرة واسعة في بريطانيا واميركا وفرنسا وغيرها ، على الرغم من انها ملأى بالغموض ، وهي نابعة من ثقافة كلاسيكية واسعة ، ومن حب عميق للشعر ، تشاركها فيه زميلتها المترجمة الايطالية السيده انجوليتي ، كما تشاركها في غموض الشعر احيانا كثيرة .

وفي التعريف بالطريقة الشعرية التي تنظم بها اديث سيتويل قصائدها تقول المترجمة في مقدمتها : « وطبيعي ان شعر سيتويل في الغالب هو مما تعارفنا على تسميته بالشعر العصري ، واعني به الشعر الحر ، دون قيود بنائية ضيقة ، سواء في النظم أو في الشكل الشعري » .

اما المترجمة الايطالية السيدة لينا انجوليتي فقد ولدت في اقليم (فينيتو) ، وانهت دراستها في الحقوق في جامعة ميلانو ، وتزوجت هناك . وقد نشرت عددا من الدواوين الشعرية ورواية نثرية بعنوان (شك معقول) ، واشتركت في الكتابة في كثير من الصحف الادبية بمقالات نقدية ، واقاصيص متنوعة ، وترجمات عن اللغات الانكلوسكسونية . وقد ترجم بعض اعمالها الادبية ـ الشعرية منها بنوع خاص ـ الى عدد من اللغات الغربية ، كما سبق لي ان ترجمت بعض قصائدها الى العربية في عدد فبراير ١٩٦١ من هذه المجلة .

وهذا الكتاب الجديد الذي تقدمه الينا لينا انجوليتي ـ وهي اول من ينقل شعر اديث سيتويل الى الايطالية ـ يبدو فيه الجهد الموفق في الاختيار والترجمة . وقد جاءت ترجمتها امينة الى حد بعيد ، كما جاءت ناصعة العبارة في لغتها الايطالية .

ان الترجمة الى العربية لا تستطيع ان تبرز شيئا من صدق الترجمة الايطالية وجمالها ، ولا من فضل المترجمة في عملها هذا ، وانما تبرز شيئا من الروح الشعرية الاصيلة لدى الشاعرة الانجليزية اديث سيتويل ، ومما

في شاعريتها من خيالات جامحة ملأى بالغموض. وها انا اقدم في ما يلي ترجمة لقطعة واحدة من الشعر المجموع في هذا الكتاب الانيق الذي يقع في ٢٧٨ صفحة من القطع المتوسط . وهذه القصيدة بعنوان :

ما يزال يسقط المطر (عام ١٩٤٠)

STILL FALLS THE RAIN

ما يزال يسقط المطر
معتما كعالم الانسان ، اسود كدمارنا
اعمى كالمسامير الالف والتسعمئة والاربعين
على الصليب .
ما يزال يسقط المطر
كدقات القلب التي تحولت الى ضربات مطرقة
على حقل الخزف ، ووقع اقدام كافرة
على القبر .
ما يزال يسقط المطر
على حقل الدم حيث تتكاثف الامال ، والدماغ البشري
يغذي جشعه ، تلك الدودة التي تشبه وجه قائين
(قابيل) .
ما يزال يسقط المطر
على قدمي الرجل الجائع المعلق على الصليب .
ايها المسيح الذي تدق المسامير في يديه
في كل يوم وليلة ، ارحمنا !
ارحم الغني منا والفقير على السواء ؛
فتحت المطر تتساوى الجراح والنظار .
ما يزال يسقط المطر
وينهمر الدم من الجنب الطعين في الرجل الجائع :
انه يحمل في قلبه جميع الجراح - جراح
النور الذي مات
واخر انفاس الشرارة .
وفي قلبه المنتحر ، جراح الظلام الكئيب الذي لايدرك
جراح الدب العالق في الشرك .
الدب الاعمى المتألم الذي يضرب الحراس
جسده المستسلم دون حماية ... دموع الارنب التي
اصطيدت .
ما يزال يسقط المطر
اذن - اه !اني سأثب نحو الهي الذي يدفعني الى الخلف
انظر ، انظر الى حيث يجري دم المسيح في الفلك :
ويجري كذلك عن الجبين الذي سمرناه على الشجرة
الذي تشتعل فيه نيران الدنيا - المظلم من الالم
مثل اكليل قيصر المصنوع من الغار .
وعندئذ يرن صوت الواحد الذي كان يوما ، مثل قلب
الانسان ، طفلا مضطجعا بين البهائم .
« ومع ذلك ما زلت احب ، وما زلت اسكب نوري
البريء ، دمي لاجلك »

عمان — **عيسى الناعوري**

لا تقولي

●

لا تقولي عندما يمضي الربيع :
قد عفا في لمحة ذاك البهاء
وذوى في روضه الزهر البديع
قبل ان يروى بطل وضياء
كم ربيع سوف يأتي ويزول
وورود سوف تزهو في الرياض
تتباهى باحمرار - وبياض
برهة ما ، ثم يفنيها الذبول

*

لا تقولي عندما يأتي المشيب :
يا شقائي ! مر كالحلم الشباب
وفؤادي ضاق ذرعا بالوجيب
قبل ان يحظى بآمال عذاب
ان تاهفت على العهد القديم
وندبت الحلو من عيش مضى
فقلوب الناس لا تدري الرضا
عن مقام في شقاء أو نعيم

*

آنت لو شئت انتهبت المتعا
ورويت الروح من خمر الغرام
وارتشفت الانس جاما مترعا
قبلما تسقين من كاس الحمام
أيه ، لكن كم تولت من نفوس
أمضت العمر بلهو وانشراح
عافت اللذات والانس المباح
وتمنت لو اريحت في الرموس

*

لا تقولي : قد مضى عمري سدى
بين يأس وتأس ورجاء
وقريبا سوف يطوى في الردى
سر نفس لم تنل غير الشقاء
انما الانسان في هذا البقاء
مثل نجم في الدياجي طلعا ،
وسواء اخبا ام سطعا ،
يختفي في الغيب مذ تبدو ذكاء !

بغداد — **مير بصري**



من قصصنا العربي
بقلم محمود بن الشريف

كان اديبا اريبا ، يحفظ ويروي ويغني الجيد من الاشعار ويعرف الكثير من اخبار الدول وايامها ، ذلكم هو : اسحق بن ابراهيم بن ميمون الموصلي الذي كان سببا في ان يقدم لمولاه الخليفة المامون زوجة صالحة كيسة عاقلة عالمة هي بوران ابنة الحسن بن سهل . ويلخص اسحق نفسه بشيء من التصرف قصة الزواج هذه فيقول : كنت مقدم الراي مطاع الامر في دار المامون مقبول القول فيه لا اعارض في شيء اذا اومأت اليه وبينا انا خارج ذات مساء من مقر الخلافة اذ سولت لي نفسي ان اسلك طريقا لمنزلي غير الذي كنت اسلكه فصك وجهي في زقاق من الازقة المظلمة زنبيل كبير معلق بأربعة مقابض ، مكسو بالديباج وفيه اربعة احبل من ابريسم وبعد أن زال عني ما خلفته هذه الصكة من الالم والروع اللذين حل مكانهما البهر والعجب تتابعت الافكار في مخيلتي واصطرعت في نفسي احاسيس شتى ومشاعر متباينة تدور حول كنه ما رايت !! وما هي الا هنيهة حتى خطر لي أن القي بجسمي داخل هذا الزنبيل ووقتما نفذت هذه الفكرة التي جالت بخاطري احس المختصون بجذب الزنبيل بثقله فسرعان ما جذبوه الى اعلى ، ثم وجدت نفسي فجأة في دار نظيفة فيها من الحسن والظرف ما حرت له . ووقع بصري على وصيفات يهرولن تجاهي ووسطهن غادة كانها تمثال من عاج صبت فيه الحياة . ابتدرتني هذه الغادة قائلة : ما الذي حملك الى هنا ؟ فلما عرفت ان الزنبيل هو السبب قالت : وما الذي دفعك على ان تسلك هذا المسلك ؟ فلم يكن مني الا ان قصصت عليها صادقا ما كان من امري وختمت حديثي قائلا : فان كان ما فعلته خطأ ففساد الرأي اكسبنيه ، وان كان صوابا فالله الهمنيه فقالت : هون عليك ، لا ضير ولا ضرر ان شاء الله . وكنت آنئذ — والحق يقال — شديد الروع بادي الاضطراب فأرادت ان تسري عني وتزيل بعض ما بي فسألتني : ما صناعتك ؟ قلت : بزاز . قالت : واين مولدك ؟ قلت : بغداد . قالت ، ومن اي الناس انت ؟ قلت : من اواسطهم ولما ابديت لها رغبتي في الانصراف قالت : أن الرغبات هنا لا تجاب بمثل هذه السهولة التي تتخيلها وان لخروجك من هذا الجو المحيط بك ثمنا ان اديته حالا كان لك ما اردت وما تريد ، وأن هذا الثمن لفي مقدورك ويسير بالنسبة لمن كان على شاكلتك ممن تبدو عليهم سيماء الادب وسمة العلماء ، فلما سألتها ما هو ؟ اجابت : ان تروي لي شيئا من جيد الشعر قديمه وحديثه فاعتذرت قائلا

جعلت فداك ان للقادم دهشة فان ابتدات بالانشاد فقد يكون ذلك ادعى الى تذكري والشيء بالشيء يذكر . ولما انشدتني لجماعة من الشعراء القدماء والمحدثين من احسن اشعارهم وأجود اقاويلهم وانا مستمع مندهش انظر من اي احوالها اعجب ؟ امن ضبطها ام من حسن لفظها ؟ ام من اقتدارها على النحو ومعرفة وزن الشعر ؟ ثم اندفعت انا بدوري — بعد ان زال عني الروع — انشد لجماعة من الشعراء واقصص بعض الاقاصيص واستطردت فسردت على مسامعها اطيب النوادر واحلى الفكاهات فظهر على محياها الرضا والسرور وقالت : يا هذا ليس حديثك هذا بحديث تاجر قد انصرف بكليته الى التجارة وانفق معظم وقته في المساومة انما هذا من احاديث الملوك والخلفاء وعلية القوم وعظمائهم ، فهلا اخبرتني بحقيقة امرك ؟ فاخبرتها بان لي جارا ينادم بعض الولاة ويسامرهم ، حسن المعرفة ، كثير الحفظ اسعدتني بعض الفرص التي سنحت فسمحت لنا باللقيا فكان يقص علي في اويقات لقائنا الكثير من هذه الاسمار والاحاديث فما سمعته مني فمنه اخذته وعنه استفدته فقالت : ان دل هذا على فطنة صاحبك مره فقد دل على ذكائك وفطنتك مرات لانك وعيت اشياء كثيره في اويقات قصيرة . .

ولما تنفس الفجر انبأتها بعزمي على مغادرة قصرها ورغبتي في الانصراف فاسلمتني الى عجوز قادتني الى الطريق الخارجي، وما ان وصلت الى بيتي وكدت استسلم الى اغفاءة قصيرة حتى جاء رسل الخليفة يخبرونني ان مولاهم طلبني اكثر من مرة وانهم بحثوا عني في كل مكان يظن اني فيه ولكنهم لم يجدوني ، ولما مثلت بين يدي الخليفة قال لي : اين قضيت سواد الليلة الماضية ؟ فلما قصصت عليه ما كان من امري امر الخليفة على الذهاب اليها فقلت له : دعني اهيء لك الامر وامهد الطريق حتى لا تتوجس خيفة مني او تظن بي الظنون اذا ما ذهبت انت معي من غير ان اخبرها بمقدمك . ولما التقيت بها في الليلة التالية وتناول حديثنا موضوعات شتى قلت لها : انني اراك تهيمين بالادب وتحبين الشعر والشعراء ، وأن لي ابن عم هو احسن مني وجها واشرف قدرا واحلى صوتا واكثر ادبا واغزر معرفة وانا تلميذ من تلاميذه وحسنة من حسناته فان شئت احضرته معي حتى تسبري غور ثقافته فقالت : ان كان كما وصفت فحبا وكرامة . وتواعدنا على اللقاء في الليلة القادمة ، وانصرفت من مجلسها وذهبت مسرعا الى الخليفة فافضيت اليه بالخبر ولما اقترب موعد اللقاء اخذنا طريقنا الى المنزل

قصة بهتان

لم تزل تنزف روحي ودم الجرح تخثّر
مر عامان ، وعام ... وانــا لـم اتغير
حاسر الطرف ، كئيب ودمـوعي تتحـدر
في ضلوعي الف مأسا ة ، ومـأساة واكثـر
كنت قديسا حييـا شاحب الصفحة اصفر
كنت ، كالنرجس طهرا بل من النرجس اطهر
فاذا بي .. اتهاوى .. راعف الجرح ، معفر
واذا انت .. رفيقي تطعن الروح وتنحـر
لحظة الضعف التي حطمت فيهـا .. تتبـختر
ان تـكن انت كبـيرا ان روحي منك اكبر !

* * *

انا يـا ظـالم ، مـا زلـت كمـا كـنت فتيـا
في ضلوعي لم ازل أحمـل .. قلبـا بشريـا
فانا ما كنت مبعوثـا ولا كنـت نبيـا !!
بشر قيـده الـدهر واخـلاه .. شقيـا
عـاش مخمور الرؤى روحا ، وقلبا شاعريا
انت يا جاحـد لا تـعرف مـن مـاضيه شيـا
شمعة لاهثـة الضوء طواها الليـل طيـا
يتـمنى ان يعيش العمـر انسـانـا رضيـا !!
فاطو ما كـان ريـاء انـه كان أمميا ..
زهرة النرجس تذوي ان يك الريح قويـا !

الكويت — راضي صدوق

متنكرين وقلت للخليفة : ان الفتـاة تجهل حقيقةامرك فاذا مـا كنا فـي حضرتها فعليـك ان تطرح نخـوة الخلافة وتترك ابهة الملك والامـارة وعليك ان تظهر بمظهر التابع لـي المطيع لاوامـري فأجابنـي الخليفة : وماذا اصنع لو طلبت مني ان اغني ؟ فاجبته : انا اكفيك مؤونة ذلك الامر لانني سأغني بدلا عنك . ولما وصلنا الى الزقاق وجدنا زنبلـين معلقـين بثمانية حبال فقعد كل منا في واحد ، وجزبنا الجواري واذا نحن في السطح ولما انتهينا الى المجلس اخذ المأمـون يتأمل الدار والاثاث والزي وقد تملكه العجب . وبعد ان اقبلت وسلمـت اخذت تسامره وتحادثه وهو يأخـذ معها في كل فن . واخيرا التفتت الي وقالت : لقد وفيت بوعدك وصدقت في قولك فوجب شكرك على صنيعك ولما اخذنا طريقنا في الانصراف قال لي الخليفة : ويحك يا اسحق اريد ان اعرف سريعا من هو رب هذه الدار ؟ ومن تكون هذه ؟ اريـد بيانا شافيـا كافيا عنها وعن اسرتهـا . فوليـت وجهي شطر وصيفاتها العجائز اللاتي يقمن بخدمتها فعلمت انهذه الفتـاة قد جالست الظرفاء والملاح والادبـاء رغبة في العلم وحبا في الثقافة ولـم يحدث بينها وبين واحد منهم مكروه ، ولم يكن رائدها الا الثقافة والمعرفـة فحسب ، وان اسمهـا بوران ابنـة الحسن بن سهل .

وبعد فترة من الزمن انقطع حديث اسحق الموصلي وواصـل التاريـخ حديثه قائلا : ان بوران هذه كانت احظى نساء المأمون وآثرهن لديه .

القاهرة — محمود بن الشريف

سلامة موسى من الطفولة الى الشباب

بقلم محمود الشرقاوي

* * *

عرفنا وعرف الناس شيئا كثيرا عن كهولة سلامة موسى الخصبة الصلبة الثائرة، وعن شيخوخته المثمرة المكافحة المثابرة، ولكن اكثر الناس لا يعرفون شيئا عن طفولته وشبابه. وهذا حديث عنهما.

ولد سلامة موسى، كما يقول، في ٤ يناير من سنة ١٨٨٧، على الارجح، وكان اصغر اخوته. ولد في قرية من ضواحي مدينة الزقازيق في محافظة الشرقية. واصل اسرته من «البياضية» في مديرية اسيوط. نزح فرع من هذه الاسرة الى القاهرة، ثم الى «الفرافرة» في مركز مينا القمح بالشرقية، ثم الى الزقازيق. ويقول هو عن سبب هذه الهجرة التي جرت حوالي سنة ١٨١٠ ان نابليون عندما فتح مصر وحكمها، وهو حاكم مسيحي، احس الاقباط بشيء من الراحة والحرية. فتركوا لبس العمائم السود التي كانوا يرغمون على لبسها تمييزا لهم عن المسلمين، كما ترك كثير منهم قراهم وبلادهم الى غيرها من البلاد. وكان هذا وذاك اثرا من آثار الحرية التي وجدها الاقباط تحت حكم نابليون ثم محمد علي. وكان هذا الفرع من اسرة «العفي» من هؤلاء المهاجرين الذين تركوا اسيوط واستقروا في تلك القرية القريبة من الزقازيق

اما ابوه فكان، كبقية الاسرة، مسيحيا ارثوذكسيا، وكان موظفا في الحكومة: رئيس تحريرات مديرية الشرقية، فلما مات ابوه، وهو في السنة الثانية من عمره ترك ثروة كبيرة، اكثر من مائة فدان، ومعاشا لاولاده وزوجه ومتأخر مرتبه لعشرين شهرا.

بعد موت ابيه امتلأ بيت اسرته، كما امتلأت طفولته، بالوان من الحزن والسواد، كانت امه تصف سنة موته «بالسنة السوداء». وبقيت بذلته معلقة الى حائط جملة سنوات، كما كانت يوم وفاته، وكذلك قميصه المنشى لم يبرح مكانه، وقد بقي يذكر هذه الطفولة الحزينة طول عمره.

وعاشت امه بعد ابيه نحو ثماني عشرة سنة. وكانت سيدة مؤمنة متدينة تعتقد، مثل اهل جيلها، الخرافات. اذا مرض طفلها عنيت بالدعاء والصلاة اكثر مما تعنى باستدعاء الطبيب. ويذكر عن تربيتها له في طفولته انه كان يلبس ملابس سوداء ويحمل عبئا من التمائم والتعاويذ. وانها «خرمت» اذنه وعلقت فيها قرطا لتوهم انه بنت، خوفا عليه من الحسد..!

وماتت امه في سنة ١٩١٦ ولكنه بقي يذكرها ويتحدث عنها بعطف ومحبة واشفاق طول عمره. وكتب عنها صفحات حية حارة صادقة، وخاصة في ترجمته لنفسه: «تربية سلامة موسى». وفيما كتبه عنها يقول:

«وقد تركت امي في نفسي ذكريات من الحنان لا تزال تعود الى ذهني فتغمرني بلذة اليمة. فما زلت اذكرها وانا في طفولتي، وانا في الحمى اتقلب واستيقظ في فترات فاراها قاعدة الى جنبي تدعو وتصلي كانها قد نسيت النوم. وكانت في سذاجة عقائدها، حين كنت اودعها للسفر الى القاهرة وانا بالمدرسة الثانوية، تناديني عقب خروجي من الباب وتصر على ان ادخل البيت ثانية، كان في هذا رمزا الى عودتي سالما بعد السفر. وكان اكثر الحاحها على قبيل موتها ان اتزوج. ولذلك في ليلة العرس وانا قاعد الى جنب عروسي في الزفاف، في ١٩٢٣، بعد موتها بسبع سنوات، تذكرت الحاحها وغيابها فارتعشت وانتفض جسمي وطفر الدمع الذي لم اجرؤ على مسحه. ولكن عروسي اخبرتني بعد ايام ان بعض الحاضرين للزفاف يقولون اني كنت ابكي.»

وكانت بقية اخوته اربعة من البنات. وكان يذكرهن، وخاصة الصغرى بحنان كبير وحب عظيم ويزورها بعد زواجها، مرة، على الاقل، كل اسبوع، الى ان ماتت في سنة ١٩٤٤.

وكان هذا الجو العائلي الهانىء الذي عاشه سلامة موسى في طفولته، هو نفسه الذي يسود بيته بعد زواجه. تزوج عن حب، وكان يقول ان يوم زواجه كان اسعد ايامه وكان يحب اولاده، بناتا وصبيانا، حبا كثيرا ويبرهم ويرعاهم.

دخل سلامة في صباه «كتابا» مسيحيا حفظ فيه بعض الصلوات الدينية والدعوات للعذراء مريم ودخل بعده «كتابا» اسلاميا حفظ فيه بعض سور القرآن، ثم عاد الى كتابه الاول. وخرج من هذا ومن ذاك، بعد ثلاث سنوات او اربع، لم يتعلم القراءة. وانشأ الاقباط مدرسة لاولادهم في الزقازيق فدخلها وسنه احدى عشرة سنة، فلما انشئت مدرسة حكومية فيها، انتقل اليها. وكان، هو واخوانه من تلامذه المدارس في ذلك الوقت، يلبسون «الجلاليب» ولبس هو فيها «قفطانا وحزاما». وبقي في المدرسة حتى نال منها الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٠٣.

وكانت امه السيدة المتدينة البارة، تعطف على الفقراء وتطعم الكثيرين منهم. واعتقد ان اثر هذه الام كان قويا في تربيته ونشأته وتكوين خلقه وصفاته. فقد كان كذلك بارا عطوفا رقيق القلب خيرا.

وقد اكسبته نشأته الريفية هذه تعلقا بالطبيعة وحياتها جعله يحس بقية عمره احساسا صوفيا ان الارض هي

* فصل من كتاب يصدر قريبا عنوانه: «سلامة موسى: المفكر والانسان».

الام . وكان اذا ذهب الى الريف ، يكاد ان يهوى على الارض فيقبل ثراها عشقا ومحبة . كما اكسبته هذه النشاة تأملا خاصا لعالمي النبات والحيوان كان له اثر واضح في ثقافته وميوله ، واهتماما كذلك بالعمال الذين نجدهم في الريف « الة » من الات الزراعة او حيوانا من حيواناتها.

وبعد ان اتم دراسته الابتدائية في الزقازيق ، انتقل الى القاهره فالتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية ، ثم بالمدرسة الخديوية . ولكن دراسته هذه كانت مشوبة بشيء كثير من القلق والتفتح. القلق مبعثه الصرامة والشدة بل القسوة ، التي كان يلقاها تلاميذ المدارس في ذلك الوقت من المدرسين الانجليز خاصة . وهي قسوة بقي اثرها في نفسه الى نهاية عمره . والتفتح كان مرده الى تلك المطالعات الجديدة التي تنبه لها .

قرا ، اول ما قرأ ، في هذه الفترة مجلة « المقتطف » وصاحبها يعقوب صروف رائد من رواد العلم الحديث وداعية داروين في نظرية التطور واصل الانسان . وقرأ ، اول ما قرا ايضا ، مجلة «الجامعة» وصاحبها فرح انطون رائد من رواد الحرية الفكرية في الشرق، واول « متطرف » من دعاة هذه الحرية . ثم تعرف الى الدكتور شبلي شميل وكان رائدا من رواد الجراة ، بل الاقتحام ، في مناقشة العقائد والمخلفات الماضية . كان رجلا ماديا منكرا ، نقل الى العربية كتاب بوخنر في « المادية العلمية » ليضعف به ، او يخفف ، اثر الروحيات والغيبيات الشرقية الدينية التي كانت تسيطر على افهام الناس وعقولهم . وكان اثر هؤلاء على نفسه وفي ثقافته وتوجيهه اثرا كبيرا . آمن بآرائهم، واعتقد دعواتهم وتحمس لها ، حتى كان يتعرض للايذاء والاعتداء من اخوانه واصدقائه وهو يناقشهم فيها. وفي هذه الفترة ــ وهو في حدود العشرين وفي مرحلة التعليم الثانوي ــ قرا الماوردي وابن المقفع من كتب الادب العربي القديم ، ثم صرفته عن قراءة هذا الادب مطالعته في الكتب المترجمة والمجلات التي تنقل عن الادب الاوروبي ، وبالاخص الفرنسي . ويقول عن حياته في هذه الفترة ان اثر فرح انطون على نفسه وفكره كان كبيرا ، وانه ، بسبب فرح انطون ، اكبر الادب الاوروبي اكبارا عظيما . وكذلك يعزو لفرح انطون نزعته الانسانية البشرية ، وكراهته للاساطير والغيبيات التي كان يكرهها بل « يشمئز منها » . واخذ عن يعقوب صروف ايضا اسلوبه المقتصد في الكتابة ، الذي كان يسميه : « الاسلوب التلغرافي » كما تأثر في السياسة او في الوطنية ، بلطفي السيد وكتاباته في « الجريدة » ودعوته لان تكون « الوطنية » وطنية مصرية لا شأن لها بالعثمانية ولا بدولة الخلافة والسيادة : تركيا . كما كان يقول مصطفى كامل ورجال الحزب الوطني في ذلك الوقت

وفي حدود هذه السن ، سن العشرين، قامت في محيط اسرته منازعات مالية وخصومات شقيت بها نفسه ، فكان عزاءه عن ذلك انصرافه الى القراءة . ثم اثر ان يترك هذه الخصومات والمنازعات ، وان يترك معها مصر كلها . فرحل الى اوروبا من غير وجهة تعليمية معينة . وكان له دخل شهري من ثروة ابيه نحو ثلاثين جنيها ، فلم يجد حاجة لاتمام تعليمه في اوروبا والحصول على شهادة .

قصد باريس ، عن طريق تركيا ، واقام في فرنسا سنة ، ثم عاد في سنة ١٩٠٩ فنزل من القاهرة الى الصعيد حيث اقام شهرين يزور آثار الفراعنة ويدرس تاريخهم . وعاد بعد ذلك الى القاهرة حيث بدأ يكتب في اللواء ،جريدة لحزب الوطني ، وهناك التقى بصاحب وحيه فرح انطون فكانت بينهما الفة عميقة وصداقة حميمة . وبعد شهور قليلة ترك اللواء ، وترك مصر ، وعاد الى فرنسا مرة اخرى، عن طريق سويسرا ، وبقي دائم الاتصال بمصر عن طريق صحفها التي كان يحرص على قراءتها حرصا شديدا .

عاد الى فرنسا بروح جديدة ، وعزم جديد ، وتصميم جديد على ان يثقف نفسه من اول مرحلة . كان فرح انطون والدكتور صروف قد جعلاه ، كما يقول ، يشعر بأن جهله عميق ، وانه في مصر يعيش في حياة ذهنية صحراوية تقفر من التفكير الخصب ، وانه يريد ان ينسى « عن ظهر قلب » كل ما سبق ان تعلم ، وان يمسح لوحة ذهنه كي ينقش فيها المعارف التي اختارها بنفسه .

كانت هذه الفترة ، فترة سن العشرين ، وكان اتصاله بفرح انطون ويعقوب صروف خاصة ، ومطالعاته لهما ، من المراحل الحاسمة في تاريخه الفكري والثقافي ، ونقطة التحول ، او الوثوب ، التي انطلق منها فلم يقف بعد ذلك ابدا ولم يتحول ، ولم يفتر خطوة ولم يضعف سعيه ولا ركضه . بدا ، من هذه الفترة ، يضع برنامجه لتربية نفسه وكان هذا البرنامج بسيطا جدا : هو ان يعيش ليدرس ، فالحياة عنده هي الدرس ، بل الدرس هو الحياة .

وقبل ان نسير ، او نرحل ، معه الى باريس . احب ان ارجع خطوة يسيرة لاقف عند كلمة قالها عن فترة تعليمه في المدارس الثانوية ، وهي المرحلة الاولى من الشباب التي يتعرض فيها كل شاب لمؤثرات قد تكون فوق طاقته ، وتحولات جسمانية وفكرية وعاطفية كثيرا ما تنتهي به الى انحرافات لا يستطيع مقاومتها .

يقول ان الشقاء والعذاب اللذين كان يلقاهما في المدرسة الثانوية اوقعاه في تلك « العربدة الجنسية الذاتية التي انغمست فيها للترفيه عن نفسي » وهذه جملة ، او اعتراف ، اعتقد اننا يجب ان نقف عنده قليلا لنتأمل ونتساءل ونستنتج .

ثم ، بعد هذه الوقفة اليسيرة نستانف فنقول :

شباب وفراغ وباريس ..! ولكن هذا كله لم يفتنه . لان شهواته الملتهبة في هذه السن الفائرة كانت ذهنية اكثر مما كانت جنسية ومع ذلك فان هذا النهم الذهني لم يحل بينه وبين المغامرات العاطفية التي لم يستطع ان ينجح فيها بسبب بيئته التي نشأ فيها وتربى ، والوسط الشرقي

الانفصالي الذي عاش فيه . ولكني اعتقد ان الاشارة التي ندركها من تعبيره الذي وقفت عنده منذ قليل ، كانت سببا من اهم الاسباب في ذلك « التعس الجنسي ، والوكس العاطفي» الذي يقول انه كان يجده عند التعارف بالفتيات، حيث كان هذا « التعارف الحميم ينتهي بخيبة « تكوي القلب والعقل معا» . ولاشك في انهذه الخيبة التيلقيها في الحب والمراة ، وهو في سن العشرين ، كانت حافزا جديدا قويا له،لينصرف الىحياة البحث والفكر والثقافة.

لم يشأ ان يقيم في باريس ، بل أختار قرية قريبة منها فأقام مع اسرة ناظر المدرسة فيها .وتعلم اللغة الفرنسية من هذه الاسرة ، حتى كان ، بعد شهور ، يقرأ الصحف اليومية . ثم قرأ بعد ذلك ابسن ، فزاد وجدانه ادراكا لقيمة المراة ، واحساسا بتعاسة المراة المصرية وتخلفها.

وفي فرنسا تفتحت عينه وقلبه وعقله على أشياء ثلاثة : اولها الريف الفرنسي وما فيه من جمال ورواء وفتنة .حتى كان يذكر كثيرا ذلكالهرم الاحمر الصغير الذي اثار اهتمامه وهو يسير في ذلك الريف ، فلما قصده يستطلع ، وجده شجره قد كساها التفاح الاحمر حتى كاد يخفي اوراقها .

وتفتح قلبه على تماسك الاسرة الفرنسية ، وسيادة الاب فيها ، وسيطرته على جميع افرادها ، وكلهم مع ذلك راض سعيد . كما تفتح على ذلك الاحترام البالغ الذي تتمتع به الكنيسة في قلوب الفرنسيين ، على عكس ما يظن الناس ويقولون ، كانت جميع الكنائس في فرنسا ، وبعضها ينفرد في ريف منعزل بعيد ، تترك مفتوحة نهارا وليلا ، ومع ذلك لا يسرق ما فيها من الاثاث ، الذي يقدر احيانا بالوف الجنيهات . وكاهن القرية هو رئيسها الروحي .

وتفتح عقله على تلك الحرية الفكرية الرائعة المستفيضة، التي وجدها في فرنسا . فكان يسمع ويقرا الدعايات النشيطة ضد الدين والكنيسة . ويذكر على الدوام مشهدا رآه في الشهر الاول من اقامته في باريس فكان له في نفسه صدمة موجعة . رأى جنازة يسير فيها الناس ، وامام الجنازة راية كتبت عليها هذه الكلمات « لا رب ولا سيد »

ومن صحف فرنسا ، وخاصة الاومانيتيه التي كانت تعبر عن راي الاشتراكيين ، بدأ يتنبه للفكرة الاشتراكية ويتذوقها حتى تشبع بها . ومن الحياة الفكرية في فرنسا اصبح يعرف هدفه في الحياة والفكر . وهذا الهدف هو ان يصبح اوروبي التفكير والنزعة ، وقد اصبح كذلك ، بلا تحفظ ولا احتياط . « لقد فتحت لي فرنسا الافاق الاوروبية التي لا تزال تنبسط امامي فتكسب حياتي مغزى حتى حين اعيش في وسط ليس له معنى ، فضلا عن مغزى . واي عزاء اكبر من هذا ..؟ »

بعد ان اقام سنتين في فرنسا رجع الى مصر مرة ثانية فأقام فيها شهرين ، ثم عاد الى اوروبا ، ولكنه ، في هذه المرة ، لم يقصد فرنسا . بل قصد انجلترا ، وطالت اقامته فيها الى اربع سنوات . بدأ فيها دراسة قانونية ، ثم فتر عنها وانصرف عن الاستمرار فيها . وكانت همومه في الثقافة والمعرفة والكفاح تؤرق نومه وتستولي على عواطفه وفكره . كان ، في هذه المرحلة الحاسمة ، يريد ان يرسم خطاه للمستقبل ، ويحدد منهجه للعمل ، ويرسم غايته التي يريدها من الحياة ومن الثقافة ومن العمل . وقد انتهى من تحديد منهجه وغايته في الحياة بهذا القرار : « اليس لي مأرب في هذه الدنيا . فلست ابالي ان اكون ثريا . لا بل لست ابالي ايضا ان تكون لي زوجة واطفال . وانما قصدي ان افهم ، ان اعرف كل شيء وآكل المعرفة اكلا » .

وهكذا عرف ، وصمم ، وبدا . ولكنه اصيب بعد شهور من اقامته في لندن بنزلة شعبية انهكت جسده وهدت قواه ، ونصح له الطبيب بأن يعود الى مصر ، ولكنه آثر ان يترك برد لندن وضبابها الى شمال افريقيا . فقصد مراكش واقام فيها فترة قصيرة زادته ايمانا بأن هذا الشرق متخلف مفلس ، يجب ان يتغير فيه كل تفكير ، وكل شي . وكتب عن هذه الفترة مقالا في « المقتطف » ، سنة ١٩٠٩ ، عنوانه «اسبوعان في المغرب» ثم عاد بعد ذلك الى لندن صحيحا معافا ، وقد « فطمته » زيارة المغرب هذه من كل اثر كان باقيا في نفسه من الولاء للشرق .

اقبل بعد ذلك على الثقافة الانجليزية ، والتحق بالجمعية الفابية (١) الاشتراكية وكان من زعمائها في ذلك الوقت برنارد شو ، وويلز . واتصل « بجمعية العقليين » وكانت تنشر مؤلفات مبسطة تناهض الدين والعقائد ، فقرأ جميع هذه المؤلفات . وتأثر في هذه الفترة بمذهب النباتيين واراد ان يتبعه عمليا ، فترك طعام اللحم سنة كاملة . انتهى منها بهزال مخيف كاد ان يقضي عليه ، فعاد الى طعام اللحم . وترك الدراسة المنتظمة للحقوق ، واختار ان يدرس في الجامعة ، المواد التي تميل لها نفسه ، فدرس المصرلوجية اي تاريخ مصر القديمة على الاستاذ الاثري بتري . كما درس الاقتصاد ، وعلوم الحياة ، والجيولوجيا . واكثر من زيارة المتحف البريطاني ومن المطالعة في الاربعة ملايين كتاب التي يضمها ، وبعضها من نوادر الكتب العربية . ومن اثر هذه الدراسات ، واتصاله بالجمعية الفابية والعقليين،

---

(١) « فابيوس » قائد روماني حارب هانيبال في حروب قرطاجنة المشهورة في القرن الثالث قبل الميلاد . وكانت سياسة فابيوس في حروبه هي ان يتفادى الالتحام مع خصمه هانيبال في معركة كبيرة حاسمة . بل يكتفي بقطع مواصلاته والاغارة عليه في معارك صغيرة تربكه وتضايقه ولكنها لا تنهي الحرب . وقد استطاعت جيوش روما ان تطيل الحرب الى عشر سنوات بفضل سياسة فابيوس هذا .

والمغزى في اختيار اسم هذا القائد ونسبة « الفابية » اليه انها حركة تعبر على المشاكل فلا تتعجل حلها بالعنف والقوة . وتعمل على تحقيق الاشتراكية بدون تسرع . بل بالتريث والاناة والروية والصبر . اي بالطرق السلمية والخطوات المنتظمة البطيئة

سر المنى



يا موجة تهدر ونسمة تعبر
اجواء آفاقي
منك الشذا يسكر بك الهوى يزهر
اشواق اشواقي

لولاك ما عربدت لحبنا اسطر
ما رن تصداح
لولاك ما زمجرت في شطنا ابحر
ما غاب ملاح !

سيري ولا ترجعي فدربنا اخضر
والحب مصباح !
ولا تقولي مضى زماننا الاشقر
فالعمر افراح !

نعيم حبي الندي يا زهرة في يدي
قد تسكر الراحا !
ثملت لا ارتجي لحننا لدى منشد
أو أرجا فاحا

فانت لي جدولي وانت لي منهلي
ان ظمئت كأسي !
وانت سر المنى وهمسة البلبل
ان غالني يأسي !

الرياض **حسن عبدالله القرشي**

ومطالعات شو ، انصهرت روحه بنار التفكير العقلي. فكتب رسالته : « مقدمة السبرمان » وارسلها الى جورجي زيدان صاحب مجلة الهلال فنشرها في رسالة خاصة ، بعد ان خفف كلماتها ، وحذف بعض فقراتها الجريئة .

والى هذه السنوات الاربع التي اقامها في لندن يرجع سلامة موسى جميع البذور والجذور التي نشات ونبتت منها ثقافته فيما بعد . ولكن دراساته هذه في لندن ، سواء عن طريق الجامعة او غيرها ، لم تكن ذات اثر كبير في ثقافته فثقافته كانت ثمرة دراساته المستقلة بعد ذلك .

مصر الجديدة **محمود الشرقاوي**



الدكتور محمد حاج حسين

بشار بن برد

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

مما لا شك فيه ان بشار بن برد احد افذاذ شعراء العرب ، فقد استطاع بذاتيته القوية ان يكون شاعراً له عالمه الخاص وشاعريته المجنحة التي استوعبت فرديته وعصره في تفاعل اخاذ كان من نتاجه شعره الخصب الذي لا يزال في حيوية ناشطة تجد فيه اصالة الفن ، وروعة الابتكار ، وسحر التعبير ، ودفق الاحساس ، وقوة البديهة ، والخيال المجنح الذي نقل الينا اروع الصور الشعرية رغم تهافتها احيانا كثيرة .

يقول اندره جيد : « لا يوجد فن ، بل يوجد فنانون » . وهذا صحيح الى حد بعيد ، فالفنان بفرديته ، هو الذي يبدع الاثار الفنية متساوقا مع نبوغه ، فالشاعر عالم خاص في فرديته ، والهامه ، ومجاله الشعري ، ودفقة احاسيسه . وكل شاعر هو فيلسوف كما يقول كولردج .. لانه يجسم لنا دنيا خاصة به ، نجد فيها دوما كل جديد. وكلما امعنا في بحثه اطل علينا بالوان فنية زاخرة نجد فيها متاعا لوجداننا وغذاء لروحنا . وبشار بن برد خير مصداق لهذا ، فقد وصلت شخصيته حد الكمال في قوتها فاندفع معها يهجس بالمشاعر القوية ، ويغني احاسيسه التي تفاعلت مع الجواء التي عاش فيها ، فجاء شعره مزيجا رائعا من ذاتيته ، وظروفه القاسية التي اكتنفته ، واضطر ان يسايرها ويعيش فيها .. وليس هو — في الواقع — كما ينعته النقاد فظاً غليظ القلب ، جاسي الاحساس ، بعيد الجفوة ، كالوحش الهائج لا هم له الا الاندفاع وراء غلمته ومجونه ، فهو مظلوم في هذه التهم القاسية التي الصقت به دون ان تتحرى الاسباب التي دعته للظهور بهذه المظاهر التي دفع اليها .. من قسوة وحيوانية ، وغلظة ، وعدم اكتراث في شيء سوى الاندفاع وراء غلمته ومجونه ، والذي يمعن في قراءة شعره لا بد ان يجد فيه انسانا شاعري المزاج ، طيب القلب ، سري الوجدان .. ولكن الظروف القاسية التي اكتنفته دفعته في هذا الطريق الشائك الذي سار فيه الى ابعد شوط .

قال عنه ابن المعتز : « كان من افقه الناس واعلمهم بكتاب الله » . ويضيف « وكان يقول : ما اعلم شيئا مما عندي اقل من الشعر . وكان يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء ، ولا أعرف احدا من اهل العلم والفضل دفع فضله » . وصحب في اول عهده بالبصره ، واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد .. ثم بلبلت افكاره المذاهب المتناقضة ولم يصل فيها الى رأي معين فازدادت احاسيسه حدة ، وراح يتلظى في شك قاس ... ورغم انه كان من ذوي العقول الكبيرة في عصره ، ومن علماء الكلام ، وجد في المجون ، وكسر القيود مجالا للتنفيس عن هذه الكرب القاسية التي فتكت به لانه عانى كثيرا من الالم ، فقد ولد اعمى واولع الناس بالازراء به ، والتنديد بعاهته ، فتلظت به النقمة على المجتمع ، فعندما اشتد الهجاء بينه وبين حماد عمرو ، وهجاه الاخير ببيته المشهور :

ويا اقبح من قرد	اذا عمى عما القرد

بكى بشار . وقيل له : اتبكي من هجاء حماد ؟ فقال: والله ما ابكي من هجائه ولكني ابكي لانه رآني ، ولا اراه فيصفني ولا أصفه . ومن هنا تأتت ثورة بشار على الوجود ، فهذه الآفة التي ابتلاه الله بها كانت الركيزة الاولى التي حولته الى الناحية التي عرف بها ، فهو يتأذى كثيرا بعماه ، رغم انه كان يتعلل بالمنى الكاذبة تنفيسا عن هذا الضغط الجاثم عليه ، فيزعم ان عدم النظر يقوي ذكاء القلب ، ويقطع عن الشغل بما ينظر اليه من الاشياء ، فيتوفر حسه ، وتزكو قريحته . ويقول في لهجة مريرة :

عميت جنينا والذكاء من العمى	فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا	لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه	بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا

غير ان هذا التعلل الذي يكذب به على نفسه ، لم يستطع ان يهمد ثورته التي انفجرت لا تلوي على شيء مولعة باثارة الناس والسخرية بهم ، والتندر على معتقداتهم ، والاطاحة بمفاهيمهم ، وهو يندفع الى هذه الاثارات ليعوض عن احساسه بالمأساة التي يعيش فيها .. ولكننا لا نحس ان بشارا جاد في لغوه هذا ، فقد اشاد بالزندقة وغنى للشعوبية ، وقال بالجبرية ، وتخبط في اشياء

كثيرة ومع هذا لم يكن الحقد يضطرم في اعماقه .. انها لحظات من القلق والتوتر التي تلم بالفنان فتتقزز اعصابه ، ويندفع مع الاثار نكاية بالتقاليد والمعتقدات التي تطامن اليها الناس. . ولا هدف له سوى ازعاجهم في معتقداتهم، لانهم ازعجوه ، واولعوا بالتنكيت على عماه كأنهم يرون في هذه الآفة قصاصا من الله، ثم اضطهدوه لانه فارسي، وكان شبابه في الدولة الاموية ، وهي الدولة العربية التي بلغت العنصرية مداها الاعلى فيها .. حتى اذا خفقت الرايات السود ، وتسرب النفوذ الفارسي الى الدولة العباسية انفجرت فيه كل هذه الكوامن النائمة ، واحس بالحرية ، فغنى للزندقة والشعوبية ، والمجون ، ولا يتورع عن هجاء يعقوب بن داود وزير المهدي ، ثم المهدي نفسه الذي قتله ، وهو في السبعين من عمره .

لقد تضافرت هذه العوامل ، فكونت مزاج بشار وشخصيته ، وكان من نتاجها هذا الشعر الكثير الذي راع معاصريه ، وقالوا .. انه لا يستطيع احد ان يجمعه لكثرته ففي هذا الشعر غنى بشار هواجسه ومشاعره، وخفق فيه فكره وعقله النير ، وطبعته فرديته الطاغية . واستطاع ان يدخل تجديدا في الشعر العربي ، فلقد احتفظ بوحدة القصيدة التي تقوم على المعنى الواحد في كثير من شعره ، ومما لا شك فيه انه لم يبتدع هذا اللون الشعري ، فقد سبقه اليم عمر بن ابي ربيعة ، بيد ان بشارا ظل محافظا على هذه الطريقة ، واضاف اليها عمقا في المعنى ، وحدة في الاحساس . وتجديد بشار لم يقصد اليه قصدا بل جاء عفوا ، فشاعريته القوية التي عمقت احاسيسها ، واتسعت روافدها ، وامتدت افياؤها هي التي املت عليه هذا التجديد عن غير عمد ، فهو قوي الشاعرية ، اوتي ذكاء في القلب وحدة في المشاعر ، وغزارة في التفكير ، فكانت تتطلب منافذ واسعة لها ، ولاسيما اذا تذكرنا ان العمى حال بينه وبين اشياء كثيرة كان يريدها في الحياة ، فاندفع مع الشعر يجد فيه سلواه ، ويسكب فيه مشاعره، وافكاره وقادته شخصيته القوية الى عوالم كثيرة وجد فيها تنفيسا عما يضطرم فيه من آلام ، واندفع في غناء كثير لا يترك موضوعا جليلا او تافها الا وغناه ، حتى لاحظ عليه بعض الاقدمين هذا التفاوت في الشعر سواء في الموضوعات ، او في الاسلوب ، ونقدوه نقدا لاذعا بسببه ، بيد انهم اسرفوا في التجني عليه ، فعظمة بشار نهضت على هذا الاتساع في الموضوعات ، وكان ان جعل الشعر موضوعا لكل شيء ، وهبط بالشعر من عليائه التي كان معتصما بها ، واصبح عنده شعرا شعبيا ان صح هذا التعبير يجد فيه كل انسان مرآة صادقة تجلو احاسيسه ومفاهيمه .. وكان يجيب الناقدين انه يخاطب كلا بما يفهم ، ومعنى هذا انه ادرك بسليقته المطبوعة ، ان الشعر الحي هو الذي يعبر عن الانسان في مختلف تياراته .

وكان من اثر بشار في تتبع الموضوعات انه جعل الالفاظ قريبة المأخذ ، سهلة التناول واشاع في الشعر تلك الرقة التي تجعله قريبا من النفس ، وهذا بدافع الحضارة التي عاش في كنفها . . غير اننا نلاحظ ان صوره كانت احيانا كثيرة مشوبة بكثير من الغموض والابهام وهذا مرده في الحق الى اصول فنية لا يستطيع الفنان ان يتحرر منها ، فالغموض سمة اصيلة في كل فنان لان الصورة الشعرية لا تلد في سهولة ، فقد تتعسر احيانا ولادتها ، وتبرز الى الوجود لاهثة الانفاس غير جلية . والشعر بلا صور يفقد الكثير من حيويته . يقول الشاعر الالماني هيلدرلن : لقد كان الشعر لغة الالهة ، ولهذا يجب ان تكون الرموز وسيلة لادائه ، ولست بزعيم ان بشارا كان يقصد هذا الرمز الذي عناه الشاعر الالماني ، بيد انه اندفع اليه – في بعض الاحيان – متساوقا مع طبيعة الفن التي لا ينتفي عنها الغموض اولا ، وثانيا بسبب عماه، فبشار كان يحس بمركب النقص ، لفقده بصره ، فأولع بالبديع في شعره ، واكثر من التشابيه ليدلل بعماه على انه يستطيع ان يتفوق حتى على المبصرين ، في تشبيهاته واسرف فيها .

وقال الاقدمون : اول من فتق البديع من المحدثين بشار ، وابن هرمة ، وابن ميادة ساقة العرب . اما ابن هرمة ، فكان يستخدم الصور في التعبير عن معانيه وهي لا تاتي عفو الخاطر ، بل يبحث عنها في عنف ، ويتقراها في كل مكان وله قدرة بارعة على تصوير المعاني ، وادراك العلاقة بين الصور ، ولكن بشارا فاقه ، وبزه في هذه الصور الشعرية التي كانت تزحم شعره . والجاحظ يراه اصوب المولدين بديعا وانفذهم الى لبه ، وكانت عبقريته تلتهم البديع ، فلا تعنو اليه ، ولا يدعه يجور على فنه ، بل كان يستخدمه ليزيد في رواء القصيدة ، ولهذا كان يمعن في الاستقصاء في التصوير ، كأنه يسيء الظن بالسامع فيود ان يفصل ، حتى تنفد الوان الصورة التي يريدها .. ولا يبقى فيها زيادة لمستزيد . والبديع في هذا العصر معناه كل الوان البيان والبديع التي حددت في علوم فيما بعد ، فهو يضم البيان الى البديع من تشابيه واستعارات ومحسنات لفظية ، ويعني ايضا التجديد في العبارة سواء بالابتكار ، او التحسن ، او الاستعارة ، وغيرها من هذه الالوان التي شغف بها شعراء هذه الفترة . والاستعارة كما يقول ارسطو دليل العبقرية ، ولا شك ان استعارات بشار تعثرت احيانا في شعره ، وكذلك الوان البديع الاخرى التي تعمدها ، لان البصر لم يسعفه في رؤية الاشياء ، ولهذا جاءت هذه الالوان مبهمة فيها كثير من الالتواء ، والابعاد في تصوير الاشياء . ومما لا مراء فيه ان بشارا لم يكن الرائد الاول في البديع ، فلقد وجد في الشعر الجاهلي والاسلامي بيد انه كان طبيعيا ياتي مع الشعر لا يقصد اليه ، ولا يتوخاه الشاعر،

حتى اذا ما جاء العصر العباسي وتعددت فيه افانين الحضارة احس الشعراء برغبة دفينة في ابداع شيء جديد ، فوجدوا ان هذه الالوان التصويرية تضفي على الشكل لونا من الجمال ، فقصدوا اليه ، وجدد فيه ابن هرمة ، وابن ميادة وتابعهما بشار ، واسرف في طلبه ، فهو يتابع الصورة في غلو شديد ويمعن في اصطناع الوسائل التي يعتمد فيها على فهم العلاقة بين المشبه والمشبه به . وليس معنى هذا ان بشارا لم يبدع في تصويره .. والواقع انه بلغ مرتبة رفيعة في الكثير من صوره الشعرية .. ولا سيما اذا تحدث عن تجربة عاناها ، فتأتي صوره سهلة قريبة المأخذ تجد فيها لذة سائغة .. ولعل هذه القدرة هي التي حدت بمعاصريه من النقاد الى اعتباره احد الشعراء المطبوعين ، فقد التهمت عبقريته الصنعة ، واخضعتها لها ، واستخدمتها في ابراز معانيه وتجميل اسلوبه ، لانه كان يبرع في تصوير المعاني فجاء التصوير عنده يحمل طابعا خاصا موسوما بذاتيته القوية التي طبعت شعره بميسمها القوي ، فلا عجب اذا كانت الخصوبة سمة لهذا التصوير الفني ، فالذاتية لا ينقطع مددها ، وكانت تمده بروافد قوية وكثيرا ما يفزع الى التشخيص ليضفي على شعره هذا الرواء الخالد مثل قوله :

عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات يأكلن قلب الحديد

فجعل الزفرات تأكل وهذا التشخيص طبيعي بعيد عن التكلف .. وراعت هذه الصور الشعرية معاصريه ، فقالوا انه يأتي بما لا يقدر البصراء ان يأتوا بمثله .. وعندما قال بيته المشهور :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

قالوا له : ما قال احد احسن من هذا التشبيه ، فمن اين لك هذا ؟ ولم تر الدنيا قط ، ولا شيئا منها . وفاتهم ان الانسان اذا فقد حاسة اشتدت بقية الحواس وقويت حتى تعوض عن الحاسة المفقودة ، ثم ان الشاعر الموهوب – ولو كان اعمى – يستطيع ان يرى ما لا يراه المبصرون. والصورة الفنية تهبط احيانا بالوحي المطلق من كل قيد كما يقول كولوردج .

ما مكانة بشار في الشعر العربي ؟ قال عنه الاقدمون : انه ابو المحدثين ، فقد فتق لهم ابواب المعاني ، وقالوا عنه لقد جمع شعره بين جزالة العرب ، ورقة المحدثين ، والمعاني الدقيقة ، والاخيلة اللطيفة ، وعدوا شعره برزخا بين القديم والحديث .. وفضله الاصمعي على مروان بن ابي حفصة ، وعلل تفضيله بأن « مروان سلك طريقا كثر من يسلكه ، فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان في عصره ، وبشار سالك طريقا لم يسلك واحسن فيه ، وتفرد به ، وهو اكثر تصرفا وفنون شعر واغزر واوسع بديعا ، ومروان لم يتجاوز مذهب الاوائل » . والحق ان امر بشار عجيب ، ففي ديوانه الضخم تتجلى نزعات شعرية شتى ففيه تجديد قوي وذلك عندما تنعكس عليه اثر بيئته الحضرية ، والحياة اللاهية التي كانت سمة قوية طبعت العصر العباسي الاول، فيخوض في الموضوعات الجديدة كالغزل الفاحش الذي هو اشبه بالاباحية والهجاء المقذع الذي كان يتلمسه الشعراء ويقصدون اليه،ولا غاية لهم سوى اتخاذه فنا يبرعون فيه دون ان يكون هنالك ثمة حقد ينزو بينهم فيتهاجون على مائدة الشراب وهم على اشد ما يكونون صفاء والفة ... كما نجد عنده نزعة محافظة ، فهو يبدأ قصائده مخاطبا الطلل واقفا عند الاثار ، فعل الشعراء الجاهليين ملتزما عمود الشعر ، ولعل مرد هذا الى نشأته في العصر الاموي حيث كان لنهج القديم في الشعر حرمته ، ولم تكن الثورة التي نشبت في العصر العباسي على عمود الشعر قد وجدت طريقها وقد يكون مرد هذا الى نشأته ايضا في حجور بني عقيل ، وهم من العرب الفصحاء الذين طبعوه على الفصاحة والجزالة ونقاوة اللغة .

وامتدت شاعرية بشار القوية الى الوان الشعر العربي الغنائي ، فبرع في اكثرها بدافع نبوغه الفردي ، وتجلى هذا النبوغ في مجريين قوميين كتب له فيهما التفوق ، وكادا يلتصقان باسمه ، وهما الهجاء ، والغزل . ولقد جرى للهجاء تطور خطير في القرن الثاني الهجري ، اذ كانت النزعة الغالبة عليه هي نزعة الموالي الذين يسيطرون على الحياة الاجتماعية والسياسية يوجهونها وفق ما لقفوه من تعاليم وتوارثوه من عقائد ، وان كانت الخلفاء احيانا كثيرة واقفة لهم بالمرصاد ، تفتك بهم تارة تحت ستار الشعوبية ، وتارة تحت ستار الزندقة .. وامعن الهجاء في هذه الحقبة بقذف الاعراض والسباب والفحش حتى يندى الجبين خجلا من روايته ، فقد خلع هؤلاء الشعراء العذار ، وانطلقوا مع نزواتهم الفاجرة لا يابهون لشيء ، وحولوا الهجاء العربي الذي كان يقوم على المفاخرة وسلب المهجو الصفات العربية الكريمة من مروءة وشجاعة ونجدة وجوار الى سباب وشتائم وبذاءة قد لا تعني لهم شيئا لانهم كانوا يتبادلونها وهم على الشراب تنتظمهم صداقة والفة .. ولكنها قد تتحول مع الوقت عندما تشتد الى عداوة مكينة . وقد كان بشار يهاجي حماد وتلاحى بينهما الهجو القبيح واقذع بشار فيه ، ولم يقصر حماد ... كلاهما يتهم صاحبه بالفحش ويتعداه الى الزندقة . وهذا الشعر عجيب في بذاءته ، واقذاعه .. فقد اتخذ بعض الامراء حمادا مؤدبا لولده ، فاهتبل بشار الفرصة ، وقال يحذره من حماد :

قل للامير جزاك الله صالحة لا تجمع الدهر بين السخل والذيب
السخل غروهم الذئب فرصته والذئب يعرف ما في السخل من طيب

وقال يهجوه ايضا :

ابن نهبى راسي على ثقيل واحتمال الرؤوس خطب جليل
ادع غيري الى عبادة الاثنين فاني بواحد مشغول

وليس في هذا الشعر معنى سام ، وكـل مـا فيـه افحاش واتهام في الثانوية كأن بشارا يغري السلطة في العصف بحماد الزنديق الذي آمن في المانوية ، واعتنقها. ومن الطبيعي ان حماد بمجرد كال لبشار الصاع صاعين ، ودفعه ودفعه بهجاء مرير ، فيه اتهامه بالزندقة ، ورمي بالفجور ، واستعداء السلطان عليه ، ويبدو ان هذا الهجاء العنيف قد انتهى الى هذه النهاية بعـد ان لـج بينهمـا الخصام حتى استحال الى عداوة قديمة ، وحرص كـل واحد منهما على الفتك بالاخر، وايذائه في ضراوةوشدة.

وكان بشار يتلذذ في هجوه بقذف مهجويه بالصفـات التي كان ينهمه بها معاصروه ، ويعهدونها منه كأنه يجـد لذة وتسرية في الصاقها بالاخرين ، ولعله من طرف خفي يريد ان يبرىء نفسـه منها .. فهو يقول في عبد الكريم بن أبي العوجاء :

قلت عبد الكريم يا ابن ابي العو جـاء بعت الاسلام بالكفـر بوقا
لا تصلي ولا تصـوم فـان صمـ ـت فبعض النهار صوما رقيقـا
لا تبـالي اذا اصبـت من الخمـ ـر عتيقا ان لا تكـون عتيقـا

وكان بشارا في هذا حريص على الاسلام وتعاليمه .. وهو فيما يروي بعضهم انه كان عنده طوال النهار فلـم يصل ، فقيل له في هذا . فقال : ان من يقبلها متفرقـة يقبلها متجمعة ، وهو الذي فضل صراحة ابليس على ادم ، لانه مخلوق من نار ، وأدم من طين مما دفع بعض معاصريه للرد عليه بشعر طريف يذكر فيه فضل الارض، ومزاياها العظيمة التي لم يعها بشار .

وانصافا لبشار نرى ان آفته التي ابتلي بها ، وتـأذى بها كثيرا هي التي دفعته الى الهجاء وهو في سن باكرة.. كان يهجو أشراف البصرة ، وهو صبي كأنه كان يجـد لـذة في ايذاء الناس ، واثارتهم تنفيسا لهذا الالم الذي كان يحسه من جراء فقد بصره .. ومن الطبيعي انالدافع الوحيد لهجوه الناس وهو في هـذه السن الغضة هـو احساسه بان الناس يشمتون به لعماه ، فقد كان كثـير منهم يعتقد ان هذه الآفة قصاص من الله صبه على بشار الذي لا ذنب له في هذه المصيبة .. وقـد يكـون هـذا الاحساس هو الذي ولد فيه نزعته نحو البـذاءة وهجـر القول حتى يزعج الناس كما ازعجوه . غير اننا اذا نفذنا الى اغوار هذا الهجاء ، واستطعنا ان نستشف مـا وراء تعابيره الفاحشة وجدنا قلبا طيبا بعيدا عـن كـل حقـد وضغينة ، فبشار في هجوه لا يزيد عن نظم مجموعة من السباب يقذف بها خصمه ، وقد يكون احد الدوافع التي حدت به الى الامعـان في الهجاء شعوره بان هـذا اللون الشعري يجعله مرهوب الجانب ، مخشي المقام ، فيسرع الناس الى مرضاته ، وتوفير الرزق له وهو القائل : اني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع، ومن اراد من الشعراء ان يكرم في دهر اللئام على المديح ، فليستعد للفقر ، والا فليبالغ في الهجاء .

وغزله مطبوع على غرار هجوه كأنه يستمد من معين ، فقد اكثر فيه من الفحش ، والدعوة الى المجون والخلاعة حتى منعه المهدي من قوله ... سئل ابو عبيـدة عـن السبب الذي من اجله نهى المهدي بشارا عن ذكر النساء فقال : كان أول ذلك استهتار نساءالبصرة وشبانها بشعره حتى قال : سوار بن عبد الله الاكبر ، ومالك بن دينار : ما شيء ادعى لاهل هذه المدينة من الفسق من اشعـار هـذا الاعمى .

ويبدو ان بشارا أوتي نزعة جنسية حـادة ، فاندفـع وراء المراة ولاسيما أن علم النفس يثبت ان القوةالجنسية عند الاعمى تبلغ ذروتها ، ومن ناحية اخرى كان بشـارا اعمى قبيحا فأراد ان يظهر اعجاب النساء به ، وولعـه بهن في صورة مكشوفة تعويضا عمـا يحسه مـن هـذا القبح فاندفع وراء غلمته .. وهنالك ناحية اخرى ، قـد

ليـلى

●

ليلى وللعطر عاش العطر زغـردة
من بوح ذكراك حيى الحب ذكراك
ليلى وللفـن ابقى الله فتنتـه
من صوتك العـذب ترتيـلا لمغناك
ولاخضرار الربى والشط سابحـة
احلامنا فيـه ، ما توحيه عينـاك
وكـل انشودة عاشت بلهفتهـا
في ساحل لم يزل يحيى بـذكراك
يعيـد للعـاشق الحيران لوعتـه
حتى يرى الكون قفـرا دون رؤياك
يا من خلقت صباباتي وجذوتهـا
ومـن نسيت بها دنيـاي الاك
سلي النخيل التي لذنا بظلتـه
والبدر يرمقنـا كالعاشق الشاكي
ليلىوما لحت في صحويولا سنتي
الا وحلـق فكري عبـر رؤيـاك
ليلى ابعثيني لحنا انت ربتـه
علي اخلـد عبـر الخلـد ريـاك

الشارقة صقر بن سلطان القاسمي

يكون احسها في لاشعوره عندما اراد أن يزعج الناس بالغزل في نسائهم ، فهو يفتخر امام المهدي :

فـاني لاغني مقام الفتى ... واصبي الفتاة فما تعتصم

كانه يجد في هذا الضرب من ايذاء الناس متعة خاصة اذ يصبي فتياتهم ويفتي عن الفتى .. ولا شك أن الناس يتاذون بهذا كثيرا ، ولا تقره الفضيلة ، غير ان بشارا كان سادرا في غيه مندفعا وراء نسج قصص شعرية فاحشة في شعره يفخر بها بسيطرته على المراة ، وغزوه لجسدها، ونهبه منها المتع لا يلوي على شيء .. ولا يقر اي عرف تواضع عليه الناس .

واجمع النقاد المحدثون : طه حسين والعقاد ، والمازني الذين درسوه ، على ان شعره كله اغراء بالفجور ، وان حبه كان حبا للنساء لا حبا للمراة ، وانه يريدها انثى ليرضي بها غريزته . وهذا صحيح الى حد بعيد .. غير اننا اذا اردنا نصفة بشار ، وامعنا في دراسة شعره،وجدنا اننا لا نستطيع اطلاقه على كل غزله ، ففي بعضه يجنح نحو السمو ، والرقة ، ويحاول ان يرتفع بالمراة ولو قليلا عن نداء الجسد .. فقد عرف قلبه ـ كما يبدو الحب ـ والحب لا بد ان يطهر الانسان، مهما كانت نزعاته حيوانية، فالحب يصقل النفس ، مهما كانت ممعنة في الجهامة والفظاظة .. والحب الذي كنه قلبه اتجه الى عبدة ، فله فيها شعر يسمو عن هذه الرغبة المحمومة التي كانت تشتعل في شعره نحو المراة .. فهو يقول :

يزهدني في حب عبدة معشر ... قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان في موضع الهوى ... ولا تسمع الاذنان الا من القلب
وما الحسن الا كل حسن دعا الصبا ... والف بين العشق والعاشق الصب

ويقـول :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة ... والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم ... الاذن كالعين توفي القلب ما كانا
هل من دواء المشغوف بجارية ... يلقى بلقيانها روحا وريحانا

فهو في هذه الابيات مشغوف بجارية ، ويتمنى لقاءها ليجد عندها الروح والريحان ، فلم تشتد غريزته ، ويغني لجسدها البطر الذي كان يتصباه .. انه على الاقل ميز فيها امرا اخر غير هذه الشهوة المضطربة التي كانت تسري في غزله ، وتعوقه عن التحليق في افق فيه سمو ورفعة.

واحيانا يحس الجوى ، ويتيمه الشوق الى المحبوبة ، ويلمحه الحنين اليها مثل قوله :

لم يطل ليلي ولكن لم انم ... ونفى عني الكرى طيف الم
واذا قلت لها جودي لنا ... خرجت بالصمت عن لا ونعم
رفهي يا عبد عني واعلمي ... انني يا عبد من لحم ودم
ان في بردي جسما ناحلا ... لو توكات عليه لانهدم

ومن الطبيعي انه كان غير صادق في بيته الاخير ، فقد قال له احدهم عندما سمعه : لو ارسل الله عليك الريح التي اطاحت بالامم الماضية لما ازاحتك من مكانك .

واحيانا تلمس عنده روحا صافية فيها رقة ناعمة ، وعاطفة صادية الى الحب الصادق مثل قوله :

ايها الساقيان صبا شرابي ... واسقياني من ريق بيضاء رود
ان دائي الظما وان دوائي ... شربة من ريق بيضاء رود
ولها مضحك كغر الاقاحي ... وحديث كالوشي وشي البرود
نزلت في السواد من حبة القلب ... ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت : نلقاك بعد ليال ... والليالي يبلين كل جديد
عندها الصبر عن لقائي وعندي ... زفرات ياكلن قلب الحديد

فليس غزل بشار كله فحش وتعهر، ففي بعضه سمو، وفيه نفحة حزينة تضفي عليه طابعا دمثا يقربه الى القلب .. وقد يكون افحاشه الكثير فيه راجع الى انعكاس البيئة التي كثرت فيها الجواري كثرة هائلة حملن معها الكثير من المفاسد ، حتى قال الجاحظ أن المهرات اي الشريفات اللواتي يدفع المهور لزواجهن قد توارين امام طغيان الجواري واصبحنا لا نسمع في هذا العصر نفحة صافية في الغزل الشريف الا من العباس بن الاحنف .

لقد راع بشار معاصريه بقوة شخصيته المتحدية التي كانت تجلجل كالرعدة القاصفة لا يابه لشيء ، فقد اتهم بالزندقة ، وقيل انه يدين بالرجعة ، ويرى ان الناس كلهم كفروا بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

وساله المهدي فيمن تعتد يا بشار ؟ فقال : اما اللسان والزي فعربيان ، واما الاصل فعجمي كما قلت :

ونبئت قوما بهم احنة ... يقولون من ذا وكنت العلم
الا ايها السائلي جاهدا ... ليعرفني انا انف الكرم
نمت في الكرام بني عامر ... فروعي واصلي قريش العجم

وجاهر بالشعوبية :

اصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم ... مولى العريب فخذ بفضلك فافخر
مولاك اكرم من تميم كلها ... اهل الفعال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع ... سبحان مولاك الاجل الاكبر

وقدس النار :

الارض مظلمة والنار مشرقة ... والنار معبودة مذ كانت النار

لقد قال الاقدمون:اطبع الناس بشار والسيد الحميري، وابو العتاهية ، وما قدر احد على جمع هؤلاء الثلاثة لكثرته .. ومعنى هذا ان عبقرية بشار التهمت الصنعة وحولتها الى غذاء لشعره ، ولم تستطع ان تشوه جلال هذه الشاعرية التي كانت تبلغ احيانا الذروة في سكب الافكار القوية في فلسفة واصالة مثل قوله في المشورة :

اذا بلغ الراي المشورة فاستعن ... براي نصيح او نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فريش الخوافي تابع للقوادم
وما خير كف امسك الغل اختها ... وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن ... نؤوما فان الحزم ليس بنائم
وادن من الشورى الكتوم لسره ... ولا تشهر الشورى امرأ غير كاتم

وبشار رغم نقائصه الخلقية والفنية قوة هائلة في شعرنا واحد امجادنا الادبية ظلموه عندما صوروه اقرب الى الحيوان منه الى الانسان ، وهو في حقيقته انسان يحمل قلبا نابضا بالمشاعر النبيلة .. بيد ان قسوة الناس دفعته الى هذا اللون من الحياة .

مكة المكرمة — **محمد حاج حسين**



عباس محمود العقاد

عباس محمود العقاد

بقلم يوسف اسعد داغر

نعت الانباء ، منذ بضعة ايام ، الكاتب المصري الكبير عباس محمود العقاد (٢٨ - ٢ - ١٨٨٩ - ١٢ - ٣ - ١٩٦٤) . فقد راينا ان نعقد حوله كلمة وجيزة تبين منزلة هذا الكاتب في الادب العربي الحديث ، والدور الذي لعبه مفكرا ، ناقدا ، اديبا ، مؤرخا وروائيا في الحركة الادبية والتيارات الفكرية التي هبت على العالم العربي في النصف الاول من القرن العشرين . والآثار القلمية التي خلفها والتي تجاوزت ٧٥ كتابا ، عدا عن المئات من الابحاث والمقالات التي حبرها ونشرها في الجرائد والمجلات المصرية .

من هو العقاد

مفكر واديب مصري ، في الطليعة من ادباء العصر ، من اشهرهم ذكرا واوفرهم انتاجا على الاطلاق . شاعر ، ناثر ، ناقد ادبي ، صحافي ، مؤرخ ، روائي ، مفكر ، خطيب ، وفيلسوف اجتماعي ، امتازت كتابته بالبحث والتحليل والدقة كما امتاز بقوة الجدل في الحوار واثارة المعارك الادبية . قليل الصحاب ، قليل الثقة بالناس ، قليل المبالاة بالراي العام ، عنيف في خصومته . وهو الى هذا كله ، شاعر من النهج النقدي التحليلي ، في شعره مرارة ، وحدة وفاعلية .

فقد كان مجموعة من الطاقات البشرية فاضت جداولها الثرية بالزاخر من الانتاج الاخذ بعضه برقاب البعض ، فهو متنوع الثقافات ، ربما من اكثر شعراء مصر اصالة في تجديده ، هذا التجديد الذي قام على استيعاب الاداب العربية والغربية . طلع على الناس بمعايير جديدة . على الاغلب ، لنقد الشعر وصاغ شعره وفقا لهذه المعايير . فهو شاعر ، ناقد ، محلل ، يربط في شعره بين العالم المرئي المحسوس ، وبين العالم المستكن في خفايا نفسه وزوايا اعماقه ، ويفلسف النتائج بين العالمين في عمق وتبصر ، حتى لا تفوته سانحة من سوانح الفكر ، او تخطئه شاردة من شوارد الخيال . واسمع ما كتبه فيه عزيز اباظة : (مجلة قافلة الزيت ، عدد مايو يونيو ١٩٦١ ، ص ٢٢٤) « فهو يستلهم نفسه ، ويستوحي الطبيعة من حوله ويوغل في اغوار المعاني الانسانية القريبة ، والبعيدة ويلبس كل انفعالة من انفعالاته ما يناسبها من التعبير ... على ان العقاد غني بجوهر البناء في شعره لا بالطلاء البراق الخارجي الذي يخفي وراءه بناء متداعيا . وهو الى جانب ذلك يتجافى عن الهين المألوف في الفن كانما يابى ان يندافع في طريق مهدها غيره . فكانت مدرسته الشعرية الجديدة منبهة للاذهان الى التماس غايات جمالية جديدة عن طريق الشعر . »

والعقاد من الكتاب المجددين في الشعر العربي مع تمسكهم بعموده . وهو من ائمة المجددين في كتابة التراجم ايضا . وطريقته التي اعتمدها في تحليل سير الاعلام ترتكز على الغوص والتنقيب في اعماق تلك السير ، وابراز العناصر ذات الخطر التي تكمن في ثناياها واستخلاص جوهر للحياة من الموازنة الدقيقة والاستقراء العميق . ولا مشاحة في ان هذا اللون من التراجم كان مما يعوز الادب العربي ليواكب الادب العالمي في تطوره واندفاعاته . فقد لبثت كتابة السير عندنا لا تعدو نطاق السرد التاريخي وتدوين الاحداث . اما ما وراء ذلك فانه لم يخطر الا في الندرة ببال احد من كتاب السير عند العرب .

ولم تكن تراجم العقاد مقصورة على فئة دون فئة . فقد شملت رجال الدين والفلسفة والشعر والادب والسياسة . فبعد ان استوعب تاريخهم استطاع بذهنه الثاقب ان يعيش معهم ، ويسبر غور انفعالاتهم ، ويرى باعينهم ما يتطلعون اليه ويسمع باذنهم ما يصيحون له ، واستطلع بمنظاره البصير ما دق في انحاء نفوسهم ، ثم استخلص من هذا كله صورة صادقة للحياة التي عاشوها وخاضوا غمارها .

نشأ نشأة عصامية . اشتغل بالادب والسياسة والاجتماع والف في كل ذلك مؤلفات قيمة ، لا سيما في التاريخ

الاسلامي وشخصيات ابطاله في صدر الاسلام . فكتب فيه على طراز لم يسبقه فيه كاتب .

قرا كثيرا ، والف كثيرا ، ودرس الحياة طويلا ، وكون له فيها فلسفة ضمنها كتابه « مجمع الاحياء » تناول فيه النضال بين الاهواء والمبادىء ، واجرى حواره على لسان الحياة والطبيعة والانسان والحيوان .

والعقاد خير من يمثل بين كتابنا اليوم ادب المقالة . له في الصحف السيارة والمجلات العربية ولا سيما المصرية منها الاشياء الكثيرة . فلا تكاد تخلوا اكثرها من مقالة يومية او اسبوعية .

عناصر كثيرة اسهمت في تكوين شعره وشخصيته الادبية . فهو مصري ، صعيدي ، يستشعر امجاد مصر والمصريين في ضميره وقلبه . وهو عربي اللغة التي توفر على قراءه امهات النثر والشعر والفلسفة والتصوف فيها. وهو غربي التفكير تزود من اداب الغرب ولا سيما من اداب اللغة الانكليزية بكل ما استطاع من غذاء عقلي . عوض عن دراسته العالية باستاذ صارم من نفسه دفعه الى تعهد عقله بالقراءة والتثقيف ، وشحذ مواهبه بالادمان الطويل على النظر . يعنى باساوبه الشعري عناية واسعة تقوم على الجزالة والمتانة واستخدام اللفظ الفصيح .

ولد عباس محمود العقاد باسوان لاسرة مصرية متوسطة فاختلف منذ نشأته الاولى الى الكتاب ، فالمدرسة الابتدائية فالثانوية . رحل الى القاهرة وهو في الرابعة عشرة من عمره . ولم يكمل دراسته في المدارس بل اكملها على نفسه معتمدا على ذهنه الخصب والتحق ببعض الوظائف الحكومية ثم تركها للصحافة .

ارتبط وهو يعلم في المدرسة الاعدادية بصديقيه ابرهيم عبد القادر المازني وبعبد الرحمن شكري . فتألف من هذه الرفاقة جيل فهم الشعر على طريقة جديدة . قدم للجزء الثاني من ديوان شكري لدى صدوره عام ١٩١٣ كما قدم لديوان المازني لدى اخراجه سنة ١٩١٤ .

اخرج العقاد أول ديوان من دواوينه سنة ١٩١٦ وتعاقبت دواوينه حتى بلغت اربعة ، طبعت سنة ١٩٢٨ بمجموعة باسم « ديوان العقاد » . وما ان وضعت الحرب اوزارها حتى نجد العقاد والمازني يتركان التعليم الى الصحافة . ويتعرف العقاد على سعد زغلول ويصبح كاتب حزب الوفد ولسانه في « الجمهور » . فكتب في جريدة « البلاغ الوفدية » ونهض فيها بالمقالة السياسة . وقاد في هذه المقالة معارك مع كتاب الاحزاب الاخرى ، مثل هيكل كاتب الاحرار الدستوريين . ومضى يصارع في السياسة في عنف وقوة مدة ٢٠ سنة ، كان قلمه امضى الاقلام واشدها جراة وحماسة وحرافة .

وفي هذه الفترة اي في العشرة الثالثة من هذا القرن راى العقاد وهيكل والمازني وطه حسين ان ينقلوا الى قرائهم مباحث الادب والنقد الغربية ، ويشفعوها بنظرات تحليلية في المفكرين الغربيين . فكأن ذلك سببا في ظهور ملاحق ادبية للصحف اليومية . فاخرج هيكل « السياسة الاسبوعية » واخرج العقاد مجلة « البلاغ الاسبوعية » فنتج عن ذلك نهضة ادبية واسعة واخذ هؤلاء الكتاب يجمعون مقالاتهم الممتازة في كتب وينشرونها ، فنشر العقاد « مجمع الاحياء » و « مراجعات في الادب والفنون » و « مطالعات في الكتب والحياة » و « الفصول » .

وفي اثناء حكم صدقي (١٩٣٠ — ١٩٣٤) دخلت مصر في ظل عهد استبدادي الغي فيه الدستور وحياة النيابة ، فثارت ثائرة كتاب الاحزاب على راسهم العقاد فكتب كتابه : « الحكم المطلق في القرن العشرين » تناول في بعض فصوله الملك ، فسيق الى المحكمة وحكم عليه بالسجن ٩ اشهر ، وقد وصف حياته في السجن بكتابه « عالم السجون والقيود » . وتوالت الاحداث ، فانشق الفقراشي واحمد ماهر على الوفد ، وخرج معهما مع الخارجين . واخذ يكتب في جريده « الاساس » . وعين عضوا في مجلس الشيوخ وفي مجمع اللغة العربية . ومن ثم اتجه الى كتابة التراجم والسير وسلسلة العبقريات :

مؤلفاته

ابراهيم بن سيار النظام — القاهرة ١٩٤٦ .

ابن رشد — بيروت ، دار المعارف ١٩٥٣ .

ابن الرومي — حياته من شعره — مصر ، مطبعة مصر ، ١٩٣١ ، ص ٣٩٢ .

ابن العاص — القاهرة مطبعة دار احياء الكتب العربية ، ١٩٤٤ ، ص ١٥٠ (سلسلة اعلام الاسلام) .

ابو نواس الحسن بن هاني — دراسة من التحليل النفساني والنقد التاريخي — القاهرة ، دار الهلال ١٩٦٠ ، ص ٢٠٢ (كتاب الهلال ١١٥) .

ابو الشهداء الحسين بن علي — القاهرة ١٩٤٥ (سلسلة كتاب الهلال ٢)

اثر العرب في الحضارة الاوروبية — القاهرة دار المعارف ١٩٤٦ ، ص ١٧٥ .

الوان من القصة القصيرة في الادب الاميركي . نقد ونماذج مترجمة من ادب القصة — القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٣٧١ .

اعاصير مغرب — القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ص ١٨٠ (ديوان شعر) .

الانسان في القرن العشرين : حاضره ومستقبله — القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٨٤ .

الله — كتاب في نشأة العقيدة الالهية — مصر ، دار المعارف ، ١٩٤٧ ، ص ٢٧٩ (سلسلة كتاب الهلال) .

الانسان في القرآن الكريم — القاهرة ، دار الهلال ، لا. ت — ص ١٧٧ .

برنارد شو – مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٠ ، ص ١٨٨ (سلسلة اقرأ : ٨٩)
التفكير فريضة اسلامية – القاهرة – دار القلم لا.ت. ، ٢٢٥ .
التعريف لشكسبير – القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٨ ، ص. ٢٢٥ .
بين الكتب والناس – القاهرة – ١٩٢٥ .
بنجمين فرنكلين : صورة عالم ، كاتـــب ، فيلسوف ، انسان – القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥ ص ٢٣٤.
تذكار جيتي : القاهرة ١٩٣٢ ص. ٢١٩ .
جحا الداحك المضحك– القاهرة (سسلة كتاب الهلال ١٣)
جميل بثينة : القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٢
حديقة ابيقور –
حقائق الاسلام واباطيل خصومه – القاهرة ، المؤتمـر الاسلامي ، ١٩٥٧ ، ص ٣٠٤ .
الحكم المطلق في القرن العشرين – القاهرة ، مطبعـة البلاد ، ١٩٢٨ ، ص ١١٠ .
داعي السماء – بلال بن رباح مؤذن الرسول – القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٨٧ .
الديمقراطية في الاســلام – القاهرة – دار المعــارف ١٩٥٢ ص ، ١٧٨ .
ديوان العقاد – القاهرة ، ١٩٢٩ ص ، ٣٦٢ .
الديوان (بالاشتراك مع المازني) – مصر ١٩٢٢
رجعة ابي العلاء – القاهرة – ١٩٣٩ ، ص ٢٧٤ .
ذو النورين عثمان بن عفان – القاهرة – ١٩٥٤ ، ص ، ٢٠٠ .
سارة – مصر ١٩٥٢ – ص ١٩٠ .
ساعات بين الكتب – جزآن – القاهرة ١٩٢٨ ص ٢٦٩
زعيم الثورة : سعد زغلول –
رواية قمبيز في الميزان – القاهرة ، ص ٨٨
سعد زغلول : سيرة وتحية – القاهرة – ١٩٣٦ ص٦٢٨
شاعر الغزل عمر بن ابي ربيعة : سيرتـــه وخصائص عصره – مصر دار المعارف ١٩٤٣ ص ١٤٣
الشذور – القاهرة مطبعة المعاهد الدينية ، ١٩٦٢
الشيخ الرئيس ابـن سينا – مصر دار المعارف ١٩٤٦ ص ١٤٤ .
شاعر اندلسي وجـائزة عالميـة – القـاهرة ، ١٩٦٠ ص ٢٦٩
شعراء مصر وبيئتهم في الجيل الماضي – القــاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ٢٠٢
الشيوعية والاستعمار – مصر ١٩٥٧ ص ٢٠٥ .
الشيوعية والانسانية – القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٣٣٥
الشيوعية والاسلام – القاهرة دار الفتوح ١٩٧٥ ص ١٦٠. (بالاشتراك)
الصديقة بنت الصديق ، القاهرة ١٩٤٣ ، ص ١٤٩
عابر سبيل – القاهرة ، ١٩٣٧ ص ١٥٠
عالم السدود والحدود – القاهرة – ١٩٣٧ ، ص ٢٢١
عبقرية خالد – مصر ، ١٩٤٣ ، ص ٢٤٨
عبقرية الامام علي – القاهرة ، دار الهلال .
عبقرية الصديق – القاهرة ، دار المعارف ، ص ٢٢٠ .
عبقرية محمد – القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٢٩٦ .
عبقرية عمر – القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٤٥٩ .
عبقرية المسيح – القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٢٢٣ .
عرائس وشياطين – القاهرة ، دار احيـــاء الـكتب العربية ، ص ١٥٩ .
على الاثير – القاهرة ، ص ١٧٥ .
عقائد المفكرين في القرن العشرين ، القــاهرة ، ١٩٥٣ ص ١٦٧ .
عمرو بن العاص – القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص ١٥٠
فاطمة الزهراء – والفاطميون – القاهرة .
فلاسفـة الحكـم فـي العصر الحديـث – مصر ، دار المعــارف .
فرنسيس باكون – القاهرة ، دار المعــارف ، ١٩٤٥ ، ص ٢٠٢
الفلسفة القرآنية – القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١٨٥ .
القائد الاعظم محمد علي جناح – القاهرة ، دار الهلال ١٩٥٢ ، ص ١٥٤ .
في بيتي – القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٤٥ ، ص ١٣٢
القرن العشرون : ما كان وما سيكون – القــاهــرة ، ص ٢٣٢ .
الفصول – القاهرة ، ١٩٢٢ ، ص ٢٩٦ .
اللغة الشاعرة : مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية – القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٠ .
مجمع الاحياء – القاهرة ، ١٩١٧ ، ص ١٢٢ .
المراة في القرآن – القاهرة ، دار الهـلال ، ١٩٦٠ ، ص ١٥٠ .
مطالعة في الكتب والحياة – القاهرة ، ١٩٢٤ ، ص.٣١٠
مراجعات في الادب والفنون – القــاهرة ، ١٩٢٦ ، ص ٢٧٦ .
مطلع النور او طوالع البعثة المحمدية – القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٥٥ ، ص ٢١٠ .
معاوية بن ابي سفيان في الميــزان – القــاهرة ، دار الهلال ، ١٩٥٦ ، ص ٢١٠ .
هتلر في الميزان – القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٢٢٦ .
هدية الكروان – القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ١٥٨ .
هذه الشجرة – القاهرة ، ١٩٤٥ .
وحي الاربعين – القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ١٧٥ .
يسألونك – القاهرة ، ١٩٤٦ .

يوسف اسعد داغر



عبد القادر رشيد الناصري

ذكرى الشاعر عبد القادر الناصري

بقلم توفيق انفكيكي

لقد قضت المروءة الانسانية ، وشريعة الوفاء على الاوداء ان ينصف الاحياء منهم الاموات بتجديد ذكراهم ، والاشادة بمآثرهم ومحاسنهم ، واولى الناس بذلك هم اخوان الفكر والادب من الشعراء والكتاب ، لانهم اجدر من غيرهم بتقدير اقدار المفكرين ، واحياء ذكرى الشاعرين الراحلين الذين نذروا انفسهم واحرقوا مهجاتهم في سبيل اعلاء دولة الادب والشعر والمثل الانسانية الرفيعة ، وفي صون حرمات الحرية المقدسة والكرامة الآدمية ، وقد رايت ان اشارك ارباب الاقلام من اصدقاء (الناصري) الشاعر البائس بتدبيج هذه الكلمة المتواضعة بمناسبة ذكراه الثانية وقد خصصت بها مجلة (الاديب) الغراء لانه رحمه الله كان من شعرائها وروادها الى ان ازفت ساعة رحيله الى مثواه الاخير ...

في الحادي عشر من شهر مايو ١٩٦٢ روعت محافل الضاد في بغداد وفي دنيا العروبة عندما علقت اوهاق المنية بالشاعر المعذب المظلوم وانشبت فيه اظفارها وهو ريان الشباب غض العود ، فانطفأت بموته شعلة وهاجة ملتهبة من الشاعرية الاصيلة النامية المتدفقة فخسرت أسرة الشعر الوجداني العاطفي والادب الحي شاعرا لامعا ماهرا في تصوير الالوان والظلال والتعبير الرشيق الصادق عن العواطف والاحاسيس النفسية في اغزاله واشواقه وحنينه وقد يخيل الي انه رحمه الله كان يشعر بترصد الموت له ، حين قال قبيل رحلته الابدية :

يضحك الشيب براسي فارى ... نعش آمالي وقبري والكفن

وقوله :

لقد ضاق صدري ومل الملل ... وغام من الياس افق الامل
اليس لكل كتاب اجل ... فمال جرحي لم يندمل ؟

كان شاعرنا الفقيد ابن نفسه ، وربيب ادبه وشعره هو نجاره ونسبه ، وان كان كريم الابوين ، فقد درس وتعلم وصقل مواهبه في مدرسة الحياة الكبرى ، مدرسة العصاميين الذين صهرهم وقوى عزيمتهم الالم (ومن لم يتالم لم يتعلم) كما قال احمد شوقي امير الشعراء . لهذا فان اكثر اشعاره واغانيه قد نمت وزكت في تربة الاسى فلاعجب أن طفحت قصائده واتسمت باللوعة والبؤس وعجت بنبرات العذاب والشقاء ، وضجت بالتنهدات والنواح ، والشكوى من قسوة الدهر وتعثر الحظ ، ورائد التوفيق ، وهنا سر القوة في انفعالاته اذا ما صخب وضحك وبكا في تفاؤله وتشاؤمه ، فقد عاش بين الامل والرجاء ، والبسمة الباهة والقطوب ، فيعزف اذا ما انطلقت نفسه باروع الاغاني المنعشة ثم تعاوده الكآبة حتى تتجسد على اسارير وجهه ومحياه ويشده الكرب بأمواجه الى الاعماق فيصرخ بأشجى تلاحين الآلام والاحزان :

أطوف بين الربى والاسى ... يطاردني منه طيف وقاح
وينشرني في أكف الرياح
ويزرع عمري بسود الجراح
ليخنق في شفتي الصداح
فاسال عن حلمي المشتهى ... وعن امل ضائع مستباح

كان رحمه الله من رواد الشعر الرقيق البديع ومن صاغته ، فيجيش في صدره كما تجيش أمواج الالم في فؤاده فتنفجر طاقته الشعرية تسح سحا بغرر القصائد وكلها تفيض بروائع الجمال والصور الجميلة الثرية بالاناقة اللفظية الموسيقية والمشرقة بالبيان العربي الرصين المبين . فكم له من لفظ بابلي نضير بعد أن ينسجه ويحوكه ويوشيه بابداع الالوان الرائقة كانها قطع الرياض الزاهية .

اما شعره القصصي الملحمي فكثير الفرائد والنفائس واما الغزلي الغنائي فتتبارى الفاظه ومعانيه في جذب القلوب واسر الاسماع مما لا نجد مثيله في الشعر التقليدي كما وصفه المرحوم الدكتور أحمد زكي ابو شادي فقال :

« عبد القادر الناصري شاعر مكثر مجيد عذب الموسيقى يسبق نضجه سنه ، وهو من اولئك الشعراء الذين ينتسبون الى كل قطر والى الانسانية جمعاء ، وله قصائد كثيرة كلها تفيض بحرارة عاطفية ، وعذوبة غنائية فريدة لا تجدها في الشعر العراقي التقليدي ، فان ما اشتهر به خاصة هو شعره الغنائي المانوس وانه ليشق علينا الاختيار من بين هذا الجيد الكثير فحسبنا ان ننظر في قصيدته الفنائية القصصية الموسومة (شهرزاد) لانها جامعة بين قدرته التصويرية وبراعته وسلاسته البيانية ، التي لا نستطيع ان ننسبها الى قطر معين » ثم ختم كلامه بهذه الجملة :

« ويخيل الينا وهو ما يزال في الدور الاستيعابي للجمال الفني الذي يعاصره ، انه سينتقل الى الدور الابتداعي القوي غير مكتف بهذه السلاسة والمعاني السائرة المشوقة » .

ومن الاسف الممض ان شاعرنا المبدع ينتقل الى المقبرة وهو في دوره الابتداعي وينطفىء ضوؤه وسطوع شهابه فخمدت على شفتيه جذوة ملحمته الوجدانية (اللهب المقـدس) .

لقد هام شاعرنا بحب المراة فزخر شعره في فتاة احلامه بأقوم الشحنات العاطفية الجياشة العارمة ، وكان يقتنـص في وصف محاسنها ودلها وهجرها ووصالها ابكار المعاني الحسان من اصفى مواردها كما جاء في قصيدته (الفتنة الكبـرى) :

ظمآن لا القدح المسجور يرويـــه ... يـا للمحـب لقد ضاعت امانيه

ومنها :

يا ضيعة الحب كم اشقته فاتنة ... حسناء لولا الطلى كـانت توافيه
اكل (خالدة) في الحسن غادرة ... يا ويح قلبي كم عذراء تدميـه

واذا امتنع عليه طيف خيال الحبيبة أرتمى في حضـن الطبيعة وهي غادته الحسناء فاتحا نوافذ جوارحه ليشرف على مناظرها ومفاتنها وسحرها الشائع في صورها المختلفة فيندفع بكل حسه وهواه ليصور غرائـب حسن الربيـع بازاهيره الفواحـة ، وشقائقه المـوردة ، وعيون نرجسه الناعسة ، ثم يرسم لوحاته البديعة الجذابة بين رياحين الربى ، ومروج السفوح والسهـول الخضراء ، وخريـر الجداول وشدو الانهار وتراقص مياه الغدران ، تبله قبلات النسيم لعرائس البساتين ، وتجاوب الاطيار والشحارير وهديل الحمام على منابر الادواح فـي اشراقة الفجـر الضاحك ، وشفق الغـروب الارجواني وقـد فاض شعر (الناصري) بهذه الفنون الجمالية التي طرز بها (ملحمته الخمرية) و (اللهب المقـدس) و (بغداد فـي الصيف) و (سلطانة الشجر) في النخيل وغيرها من فرائده وقلائده الكثيرة من شعره الرائع الوصفي لمشاهد الطبيعة وهي غادته الحسناء الفاتنة واليك هذه القطعة من قصيدته (غنت الحياة) وقد نشرت بعد مماته :

ايـا شاعر الحسن خـل النحيب
وحـي الصباح بلحـن طروب
كقمرية فـوق ايـك رطيـب
فمـن كـل زهر تفـوح الطيوب
كـان يـدا للربيـع الحبيـب

لثـاكلـة لا تمـل البكـاء
وردد غنـاءك عنـد المسـاء
تبـث أغـاريدهـا للضيـاء
ومن كل ثغـر يسيل الغنـاء
تقيـم علـى الارض عرس السماء
فـانى تلفـت مـلء النظـر
غرائـب حسن بشتى الصـور
وفـي كـل حقـل جني الثمر
فـراش يقبـل ثغـر الزهـر

ولكن سرعان ما يتقلص من حواليه ظل الاماني فتعاوده ظلال الكآبة فيجد نفسه تائها في قفار اليأس والقنـوط فينادي الغمام علة يجود عليه بقطرة ماء يحيي بها ميـت الرجاء فيقول في قصيدته (هينمات الشعراء) :

أي مـاض لغريـب تـائـه ... في قفار اليائس يستجدي الرجاء
يرسـل النظـرة حيرى علـه ... يستشف النور من نجـم اضـاء
وينـادي كـل غيـم عـابر ... في حواشي الافـق هل قطره ماء
وهو فـي اوهامـه فـي قفـص ... حيـك مـن دمـع وشهد ودمـاء

هكذا قضى حياته بين نضوب الامل ، وضحضاح الرجاء والرخاء ، يتجرع الغصة ، وتزدحم في صدره الحسرات والزفرات ، وتساوره همومه واحزانه ، فلا يحس به احد من خاصته وخلصانه . ومع كل ذلك مـا كان بالشاعـر الفصال لنيل الهبات والجوائز ، وقد بقي طوال ربع قرن يغني بشعره الموسيقي العذب الساحر ، ويغذي بأدبـه الرفيع كبريات الصحـف والمجلات العربيـة الشهيرة والذائعة الصيت في مختلف الاغراض وفي شتى المناسبات حتى تردى في احبولة المنية فتقطعت بمصرعه اوتار قيثارته وتلاشى صوت بلبل الروض الفريد ، وهزار خمائل دجلة الصداح . .

ايه أبا (اشـواق) ! لئن افزعك الدهر باَمالك واحلامك فسامت حياتك المسؤومة مما لاقيت من غربتك في وطنك، فقد تخففت في غربتك الاخيرة الابدية من اثقال عبء الحياة الذي انقض ظهرك ، وكدر عيشك . .

اجل ! يا أبا (اشواق) ! لئن كنا حرمنا صيالك المشكور في وجه الشعوبية المتنكرة لادب الفصحى فقد طالما انطلقت مغردا بمعسول الاناشيد والنغم الناعم الاخاذ في سبيل العروبة وكأنه انفاس الرياض غب المطر .

كيف لا ! وقد كنت مهذب الطبـع ، رقيـق الحاشية ، سليم الصدر ، صحيح الود لاخوانك وخلانك ، فيض الكف كفيض خاطرك وقلمك . برغم تطفيف عيشك وصغر كفك ومرتبك . واعلم بأن ذكرك الجميـل سوف يبقى نديـا عطرا على لسان الناطقين بالضاد ، وافمام السمار النواسيين اما اشعارك فستبقى اغرودة الاجيال ما دام ابناء الضاد يقدسون جمال الشعر ويمجدون رسالة الشعراء الاحرار غير الاجراء . .

وغدا سيذكرك الزمان ولم يزل ... للدهـر انصـاف وحسن جـزاء

الاعظمية ــ العراق **توفيق الفكيكي**



صوتها يصل اليه خافتا ، وهي راقدة في السرير. ولم تكن به رغبة في الحديث معها ، فبسبب الحمى التي كانت تتصاعد من جسمها ، اعتقد انه من الافضل ، ان تظل صامتة ، حتى لا تجهد نفسها .

وكان الضوء في الحجرة ضئيلا ، ينبعث من لمبة صغيرة ، معلقة في الجانب الايسر من الباب ، فتلقى بضوئها على السقف ، فتنعكس على الجدران ظلال سوداء كبيرة . ووصل صوتها الهامس الى اذنه :

ـ اريد ان اشرب .

غادر الحجرة ، وعاد حاملا كوبا مليئا بماء بارد . ولم تكن تقوى على الجلوس ، فأسند راسها على ذراعه ، وقدم لها الكوب ، فشربت منها قليلا، ثم اشاحت بوجهها عنها ، فألح عليها ان تشرب ثانية، ولكنها ضمت شفتيها في ضيق . وسدها في رفق ، وعاد فجلس على مقعده صامتا .

لمح شفتيها تتحركان ، وظن انها تريد ان تتكلم ، ولكنها اشارت بيدها الى الشباك ، وفهم انها تريد ان يفتحه واتجه نحوه ، وقبل ان يفعل ، التفت اليها وحذرها قائلا :

ـ ربما تبردين .

ولكنها لم تنطق ، بل اكتفت بان عاودت الاشارة بيدها في اصرار ، ثم تركتها تسقط بجانبها . ففتح الشباك بحرص وهدوء شديدين . كانت اية حركة ، ربما ازعجتها . وتسللت نسمات رطبة ، جعلته يشعر برعدة خفيفة . ونظر اليها ، كانت ابتسامة شاحبة ، وظلال المصباح ، على جزء من وجهها ، فشعر بارتياح. وقف بجانب الشباك . وكان الشارع مظلما الا من فانوس قائم على ناصيته، وكان ضوؤه ساطعا ، فلم يقو على النظر اليه ، فأشاح بوجهه عنه. كانت البيوت المقابلة مغلقة النوافذ ، وصمت كئيب يخيم عليها .

وعاد ينظر اليها ، كانت قد اغمضت عينيها ، وعلى وجهها هدوء شامل : انفاسها تتردد في سرعة ، وعرق لامع يكسو جبهتها ، فاقترب منها ، ورفع الغطاء حتى رقبتها فشعرت بحركة يده ، فرفعت جفنيها ، وقالت :

ـ لا .. انا حرانه . احس اني اختنق .

ـ ولكن انت عرقانة . .اذن اقفل الشباك .

ـ لا .. لا

وقف وظهره تجاه الشباك ، كي يمنع عنها نسمات الهواء . وادارت وجهها للحائط . كانت ظلال سوداء ، قد قسمت الحائط قسمين : احدهما مظلم ، والاخر خافت الضوء . وفكر انها ربما تموت . ذلك ان الدكتور حينما عادها في الصباح قال له وهو



بقلم مصطفى ابو النصر

يودعه عند الباب : ان مر عليها الليل ... وسكت ، ثم صافحه ومضى .

واندفع الى الاجزخانة، واحضر الدواء وتذكر كلامها له : كان صوتها مرتعشا وابتسامة زرقاء مسودة ترتسم على شفتيها الجافتين ، فبدت اسنانها مغطاة بطبقة صفراء كالحة ، ورجاها ان تتناول الدواء ، فرفضت ، ولكنه الح ، وتلاقت عيونهما ، وقدم لها قرصين ، فبلعتهما بجرعة ماء .

كانت حبات العرق لا تزال تغطي جبهتها ، فأخذ فوطة كانت معلقة على ظهر السرير ، وجفف وجهها كله ، فانفرجت شفتاها عن ابتسامة حانية، ثم رفعت يدها ، وامسكت بيده ، وضغطت عليها ، فجلس على حافة السرير ، وظل رانيا اليها ، وهو يكاد يتمزق .. كان ينظر الى كل جزء من وجهها ، وكأنه يريد ان يلتهمه ، ثم انحنى وقبلها .. كان وجهها دافئا ، وحين رفع وجهه لمح الدموع متحجرة في عينيها ، وقالت بصوت شعر انه يخرج من قلبها :

ـ يا خسارة .. سأموت .

وهوى قلبه ، وتوالت دقاته ، واحس بالدم يندفع في راسه ، وفكر الا يجيب ، ولكن خيل اليه انه لو سكت ، لتأكدت هي من موتها، وحاول ان يبدو مبتسماً ، وشعر بارتياح اذ تنبه الى ان ظهره للضوء ، وانها لن تلمح ما على وجهه من انفعالات ، ونطق قائلا :

ـ لا تتكلمي ... لقد طمأنني الدكتور .. غدا في الصباح ستكون صحتك احسن .

فابتسمت ، ولكن ابتسامتها كانت باهتة ، وظلت عيناها مثبتتين عليه .

وكان يغالط وهو يسألها :

ـ اولع النور ؟

ـ لا .. هذا النور احسن .

وتنفس بارتياح ، فسألته :

ـ الن تنام ؟

ـ لا اشعر برغبة في النوم .

ـ استظل مستيقظا ؟

كان يبذل مجهوداً كبيرا ، وهو يفكر في الاجابة ، محاولا ان يجعل صوته مسطحا ، لا ينم عن شيء :

ـ لا اشعر بتعب .

ويبدو انها شعرت بما يعانيه فقالت:

ـ انت يظهر عليك تعبان .. قم نم ..

ـ سأظل بجانبك .

ضغطت بيدها على كفه فعرف انها قد سرت لذلك كثيرا . واعتدل في جلسته ، واسند ظهره على عمود السرير ، وظل يتأملها . كان الوقت يمضي بطيئا ، ولسعته البرودة ،



حب وكبر

« عمان » انك قبلتي ورجائي ومناط آمالي ووحي عزائي
« عمان » كم الهبت بيض جوانحي وسكبت صافي الراح في اجوائي
« عمان » ذكرك ان الم بخاطري وهفا الفؤاد لروعة الاصداء
لسعيت من فرط التوجد حاملا نتف الفؤاد وتاركا خيلائي
ولعرج القلب المعذب قاصدا مغناك تياها على البرحاء
متخطيا فرق الترفع قانعا متحديا لمشاعر رعناء
او لست موطن من احب وارتجي وملاذه في حمأة الضراء

* * *

عفو التشامخ اذ اهاب بخافقي اني محب جامح الاهواء
والحب افعل في النفوس اذا بدت في الكبرياء شمائل العظماء

دمشق — سلافة العامري



فرفع الغطاء من ناحيته ، وغطى جسمه ، ولامست قدماه قدميها ، فشعر بدفئهما .

ــ هل اقفل الشباك ؟
ــ اتشعر بالبرد ؟
ــ من أجلك .
ــ واربه .

لم تكن به رغبة في النوم . كانت عيناه مفتوحتين مثبتتين على وجهها . تحت الضوء الخافت .

وبدأ يفكر في اشياء كثيرة : لقد اعتاد عليها ، واصبحت جزءا منه ، انه لا يستطيع ان يتصور ذلك اليوم الذي يفقدها فيه .

وحول عينيه عنها الى خط الظل الذي يفصل بين الظلام والنور على الحائط . كان الخط واضحا وان كان كئيبا بصورة جعلته يفكر في اضاءة اللمبة الكبيرة ، ولكنه تردد ، واحس بالم في رقبته ، فانزلق من جلسته واسند راسه على مخدة صغيرة ، كأن قد وضعها خلف ظهره واخذ يحدق في السقف ، كانت انفاسها تتردد ، لقد نامت ، واشراب قليلا ، ولمحها وهي مستغرقة في النوم .

كان صوت انفاسها هادئا ورتيبا به خشونة ضئيلة . واستراح نفسيا ، ولكن النوم لا يطاوعه وفكر ان يقوم ، ويطل من الشباك ، ولكنه تذكر ان لا شيء في الخارج سوى الظلام ، والفانوس على ناصية الشارع . كان عليه ان يتذكر اشياء اخرى يشغل بها نفسه بقية الليل . . كان ينتظر الفجر ، كان يريد فقط ، ان يرى نوره يتسلل من فتحات الشباك ، وعندئذ ستعود حياته الى جمالها السابق . منذ يومين وهو في الجحيم ، ترى ما الذي اصابها ؟ . . اي هواء ملوث ، حمل اليها الميكروب الخائن ؟ . . لو استطاع ان يقضي على كل الميكروب . . ولكن هل هي احسن حالا الان ؟ . . وامتدت يده تجسها . كانت الحرارة قد هبطت قليلا . . . لم تعد جبهتها تنز عرقا . انفاسها انتظمت . وفكر ان يوقظها . كان به شوق الى سماع صوتها ، الى التحدث معها لو قفزت الشمس من خلف الافق ، ولكن ما بال الجو يزداد حرارة ؟! وفكر ان يفتح الشباك . ولكنه لم يتحرك ، واسدل جفنيه ، وظل يحس بكل ما حوله ، دون ان يرفعهما . وماءت قطة في الشارع ومن بعيد سمع صوت سيارة مسرعة ما لبث ان ابتعد وتلاشى في الصمت .

القاهرة — مصطفى أبو النصر

مكتبة الاديب



الملوك العاشق

قصة تاريخية ـ تاليف محمد عطا ـ ١٩٤ صفحة ـ نشرتها مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ دار الجيل للطباعة بالقاهرة

منذ اصدر الروائي الكبير السير ولتر سكوت قصصه التاريخية الشهيرة، والنقاد في صخب حول قيمتها التاريخية ! فقائل ان الخيال يجمح بالكاتب الى وقائع اسطورية لا تمت الى الحياة ، وقائل ان روح الوقائع الاصيلة تبرز بوضوح في كل ما يبتكره الخيال ، ثم تتابعت القصص التاريخية بغزارة وتدفق حتى كان لها رصيد ضخم في مكاتب العالم ، واستطاعت بتاثيرها النفاذ ان تحتل مكانتها في النفوس ، حتى اعترف بها من كان يماري في جدواها العلمية ، واتفقت الاراء او كادت تتفق على ان هذه القصص تتخذ من الخيال سلما الى تاريخ الواقع ، فهي تعرض روح العصر وترسم جوه ومحيطه وتقدر ابعاده واطواله .. وهي بعد تصوير امين لموجات الطبقات المتصارعة واذا اعتمد الكاتب على بطل جهير فانما يتخذه رمزا بارزا لمن يسيرون خلفه ويوجهون خطوه ، ويحكمون مصيره في اكثر الاحايين وعصر المماليك من احسن العصور صلاحية لكتابة الروايات التاريخية ، فان به من الغرائب المتناقضة ما يعجز الخيال ان يتصوره ! وماذا نقول في عصر كان ملوكه جميعا ارقاء يخطفون من بلادهم النائية صغارا ، ثم يبيعهم النخاس في اسواق الرقيق ، ويمضي الزمن فاذا بهؤلاء التائهين سلاطين كبار يحكمون مصر والشام والنوبة ويدعي لهم في منابر الحرم الشريف ، ويمتد نفوذهم بما لا يقاس به نفوذ عظامي عريق من ابناء الخلائف المتوجين !! ومع صلاحية هذا العصر النادر للقصص التاريخية فقد تقاعس عنه اكثر الروائيين ، واتجهوا الى عصور بني امية والعباس والاندلس اكثر مما اتجهوا اليه ، واذا استطعنا ان نذكر سعيد العريان وابراهيم جلال وعلي باكثير وخيري سعيد فيمن استلهموا هذا العصر مع نفر قليل من اضرابهم الممتازين فاننا لا نزال ننتظر عملاقا كبيرا يرضي حاجة هذا العصر الباهر الى التحليل والتصوير

وبين يدينا الان قصة الملوك العاشق ، كتبها الاستاذ محمد عطا ليصور بها احدى حلقات هذا العهد الخطير ، وللاستاذ في مضمار القصة التاريخية جهد سابق اسلفت الحديث عنه في بعض اعداد مجلة الاديب ، وقد جاء اليوم ليضيف جهدا الى جهد فيحكي بعض حوادث مصر في زمن السلطان الغوري ، وقد قرأت روايته الجديدة فسرني احكامها الدقيق ، وادركت في وضوح ان الكاتب قد صور هذه الحقيقة من الزمن تصويرا ظليلا تحيطه البوارق اللامعة ، وتغمره الايحاءات الدالة ، ولقد كان من باب المصادفات السارة ان اقرأ معها كتاب السير وليم موير عن تاريخ دولة المماليك وهو في رأيي من اصدق الكتب العلمية التي كشفت عن روح هذا العصر العجيب ، فادرك ان الاستاذ عطا قد استطاع ان يبرز الواقع التاريخي في مجاله الفني كما ابرزه السير موير في مجاله العلمي بحيث صارت رواية الملوك العاشق وجها نابض الملامح ، بارز السمات يطالعه القارىء فيلمس ما كان كما كان !! ومما يقع فيه بعض الكاتبين في هذا المجال انهم يحشدون الوقائع التاريخية في تكلف جهيد بحيث لا تمهد لها الملابسات الفنية بل تفاجىء القارىء مفاجاة ناشزة وكان الكاتب قد ضاق بها، فعرضها في غير موضعها ليريح نفسه من عنائها الكبير ! ولكن الاستاذ محمد عطا في قصة الملوك العاشق قد ارتفع عن هذا المستوى ، فجعل حوادثه تاتي في يسر وسهولة وكان القارىء يترقبها وينتظرها من بعيد فحين يصادفها تحل من نفسه محلا كريما ، لذلك لا يدع القصة من يده حتى يفرغ منها في ارتياح وتقدير .

وسانظر هنا الى الرواية من ناحيتها التاريخية وحدها ، فاعلن انها تغني القارىء عن ان يطالع كثيرا مما سجله مورخو هذا العصر من نوادره الغريبة ، اذ احاطت بالجوهر اللباب مما يجب ان يقال ! وسانقل من فصولها ما يمتعنا بمقال متماسك عن عصر المماليك ! واذا وفق كاتب روائي الى ان يصدق الحديث عن التاريخ صدقا خالصا غير منقود فقد ادى رسالة المؤرخ العلمي ثم تفوق عليه في ابداعه الفني بما رسم من مشاهد وحلل من نفوس وابدع من حوار .

فانت اذا اردت ان تعرف اصول المماليك في انحدارهم الاول الى سفح الحياة من اصلاب الازل تجد طلبتك في قول المؤلف عن طومان باي ص١٣

« بات طومان باي ليلته ولم يغمض له جفن ، راح يفكر في طفولته وكيف انه بيع في سوق النخاسة باعه ابوه الفقير على كره منه ليصنع لابنه مستقبلا باهرا في ديار مصر فهو لا ينقصه الذكاء ولا فراعة الجسم، ولا قوة البدن ، لقد سبق الى هذه الديار اخوان له من مواطنيه القوقازيين المشهورين بالشجاعة والجلد ، فولوا ارقى المناصب وخاضوا اعظم المعارك وسجلوا انتصارات باهرة ، انه علم ان اباه داس على عاطفته ومشى على قلبه حين كان يخطو الى سوق النخاسة ، احس كل ذلك في عينيه المترقرقتين بالدمع ثم انهمارهما وقد تمت الصفقة ودفع بابنه الى السفينة الراسية في انتظار ترحيل هؤلاء العبيد » .

فاذا اردت ان تعرف جشع السلاطين في ابتزاز الاموال وفرض الضرائب دون حق مشروع ثم تعذيب البرءاء الامنين ممن لا يقدرون على السداد وجدت الكاتب يقول ص ٥٦ عن الغوري العنيد واحتياله الحصيف

« ومنذ تسلطن الغوري اخذ يتعلل بخلو الخزائن من المال ، فلا سبيل له الا بتحصيل ضرائب عشرة اشهر كاملة تدفع مقدما من اجرة املاك القاهرة من بيوت وربوع وحوانيت وحمامات وغيطان ومراكب وغيرها ، ومثل القاهرة جميع الثغور والمدن والقرى ، وقد انتهز الملاك هذه الفرصة وطالبوا المستاجرين بدفع ايجار عشرة اشهر مرة واحدة مما اثار الرعية واوقعها في ضيق شديد ، واصبح الناس ولا حديث لهم الا ما وقع من مصادرات ! او ان فلانا التاجر قد دفع المطلوب منه لجهتين مختلفتين بعد ان عذب عذابا اليما وبذل من قوته ورأسماله فصار دكانه خاويا على عروشه وعجز غيره عن الدفع فوضع في «الترسيم». فاذا خطا بك المؤلف في تيار حديثه المتسلسل الى مكايد القصور ودسائس الحريم في منزل السلطان حدثك عن ذلك في خلال تصويره للجارية سناء حين طفقت تدبر مكيدة لسيدتها هند ، وكم للقصور من مؤامرات تقوم بها جواريها الفاتنات ، وكلهن كما قال عنهن الكاتب في معرض حديثه عن سناء ص ٩٥

« وكانت سناء تتقن مثل هذا الدور الذي اضطلعت به فلها اسلوب ناعم ، وطريقة فذة في الكشف عن الاسرار والنيات ، وقراءة افكار بنات جنسها ، لقد كانت هذه صناعتها منذ ان شبت في خدمة الخوند بقصر يموج بالوصيفات والخدم والحشم ، وكلهن من اجناس مختلفة ، فمنهن الشركسيات والحبشيات والسودانيات واليونانيات ، ولهن مشارب مختلفة وطرائق في التفكير والاتجاه والسلوك ، في عصر دائم التقلب حافل بالانقلابات والدسائس والفتن وتغير السلاطين ، والتغير هنا معناه

قيام حرب اهلية بين المماليك ، تزيل الوجوه الحاكمة لتحل اخرى مكانها ، وقد تضطهد زوجة السلطان ، وتصادر املاكها ، وتنتقل الى سلطان جديد بعد زوجها الاول .. وهذا ما حدث » .

اما المأساة حقا فمأساة الخصيان الذين يشرفون على الحريم في قصور المماليك ، وقد صورها المؤلف تصويرا ينضح بالمرارة والالم حين قال عن بعض الاغوات ص ١٦٠ .

« لقد تذكر الاغا فجاة وضعه الشاذ فلا هو بالذكر ولا بالانثى ، وان حياته ستنتهي بانتهاء اجله فهو محروم من الذرية والبنين ، محروم من الزوجة والشريكة ، لقد سلب رجولته منذ كان ابن تسع سنوات في قرية بالقرب من اسيوط مع ضحايا اخرين ، جلبوا معه من دارفور ! ان الذي ذكره بهذه الايام المؤلمة هو الحب الذي يشهده والحياة التي يهفو اليها وهو محروم منها ! انه يحب المراة ويشتهيها ولكنه عاجز عن ان يصل اليها ، وهو ضحية ظلم وجشع ! ظلم القوي للضعيف وجشع الانسان للمال ! وهنا فاضت عيناه بالدمع فتقدمت اليه هند وربتت على كتفه تواسيه » على ان مجال المفارقة المذهلة يتضح في مرارة لاذعة حين يطرد السياق بالكاتب الى مواقف متناقضة ، فهو مثلا يتحدث عن المجاعة في مصر وما اعقبها من نزول الوباء بكوارثه فيقول ص ١٥٧

« لقد فشا الطاعون في مصر ، واخذ يحصد الارواح حصدا ويشيع الى القبور عشرات الضحايا كل يوم ! ولا يكاد المرء يسير خطوات في شوارع القاهرة وحاراتها حتى يسمع نواح النائحات ، وصراخ المنكوبين والمنكوبات ، ويشاهد النعوش التي تحمل ، والجنازات التي تسير ، وساد القاهرة رعب شديد ، فكل جزع خائف يغلق الابواب على نفسه في حذر واقبل الناس على المساجد يبتهلون الى الله ، ويضرعون تائبين كي يخفف عنهم ما الم بهم ! وخاف السلطان على نفسه واهله وبات فزعا مكروبا يوزع الصدقات ويهيب بالمقرئين ليتلو آيات الذكر الحكيم ويجاروا بالدعاء الى الله ليزيح هذا الوباء » .

ومع ان هذا الوباء قد نتج عن مجاعة فاجعة داهمت الشعب ، فالسلطان الذي فزع منه وخاف على اهله ونفسه فوزع الصدقات هو الذي اسهم في حدوثه بشرهه الجشع واستنزافه الاموال ولم يكتف بما يبذل في القصور لدى الجواري من ذهب ! وللجنود من المماليك من خلع وجواهر كي يركن الى طاعتهم بل جعل ملابسه وراسه واصابعه معرضا باهرا للزينة . فهو كما يقول الاستاذ محمد عطا على لسان بطل الرواية الماس ص ١٧٦

« الم تر اصابع السلطان الغوري ، انه يتحلى في كل اصبع بخاتم خاص فهذا خاتم من الياقوت واخر من الفيروز وثالث من الزمرد ، ورابع من الماس وخامس من عين الهر ، ويشرب الماء من الطاسات الذهبية ويولع باقامة الموائد والزينات والحفلات وشعبه لا يجد اللقمة التي يتبلغ بها والمماليك ياكل بعضهم بعضا في حرب طحون » .

على ان المؤلف لم نظلمه اذ تحدث عن اهتمامه بالاحكام الشرعية حين لا تمس ذهبه وفضته بل حينما تكون اقتصاصا من مجرم اخطا ، بل ان الغوري ليتجاوز الحد المشروع الى عقاب يخترعه من وحي تفكيره او يوافق عليه اذا كان شائعا معروفا قبل عهده ومن طرائف ما حكاه المؤلف بصدد ذلك ص ١٤١ مما يصور طبيعة هذا العصر

« لقد وجد الوالي اربعة اشخاص - منهم امراة - يفطرون باحد البساتين في نهار رمضان ، ياكلون الملوحة ويشربون الخمر ، فقبض على الرجال واخذ يضربهم بالمقارع ، واركب كلا منهم حمارا بالمقلوب وسار امامهم المنادي وهو يصيح هؤلاء العوام افطروا في رمضان في الطريق العام فعليهم لعنة الله ! ثم سجنهم في القشرة بضعة ايام !! »

هذه مقتطفات متقاربة انقلها عن القصة لتشير اليها من قريب ، ولئن كان الاقتطاف الموجز من احدى القصص امرا غريبا في ذاته لانها ذات وحدة كلية متشابكة يضائل منها ان يذكر بعض سطورها المتفرقات فان مما يمهد لنا القدر في ذلك اننا نحكم هنا على المضمون التاريخي للرواية وحده ، اما العمل الفني ذاته فمع نضوجه الادبي ، واطراده المنهجي وتسلسله التعبيري وابداعه التصويري فقد يجد من الكاتبين من يخصه بالحديث .

الفيوم - دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

•

الطبيب الصغير

قصة للاولاد - تاليف ادفيك جريديني شيبوب - ١٥٢ صفحة - منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت - مطابع سميا ببيروت

حملت الينا النهضة الادبية في لبنان ، الوانا ادبية جديدة تلقتها المكتبة العربية بكثير من الترحاب لشديد حاجتها اليها .

وقد يكون عسيرا ان استعرض في هذه الكلمة ، الانواع الجديدة التي انبثقت مع تفجر الانتاج الجديد في ادبنا اللبناني الحديث ، لان الكلام في ذلك سيطول ، وغايتي ان اقدم الى القراء بكلمة موجزة ، كتابا جميلا كان ثمرة لتجربة مخلصة وجهاد ادبي صادق في سبيل خلق مكتبة قيمة للاولاد ، فجاء اسهاما مشكورا في وضع اساس تلك المكتبة الحديثة .

اما الكتاب فهو قصة « الطبيب الصغير » للاديبة المعروفة السيدة ادفيك شيبوب صاحبة القلم الرصين والاسلوب الانيق . وقد نال كتابها هذا العام جائزة القصة في ادب الاولاد بالمناصفة وهي الجائزة التي تمنحها جمعية اصدقاء الكتاب سنويا .

واما الموضوع فهو عرض موفق هادىء لحياة اسرتين عريقتين بلبنانيتهما تعيشان في احدى القرى القريبة من الساحل اللبناني على ما يبدو من سير الاحداث . ولكن ذلك القرب من الساحل اللبناني بالنسبة للقرية التي تجري فيها حوادث القصة ، لا ينزع عنها طابع القرية اللبنانية الاصيل ، ولا يبهت الوان الصور الاخاذة لذلك الريف الغني بتراثه ، فالتقاليد اللبنانية الجبلية حية في الكتاب ، ناطقة بروعة تلك اللوحات الطبيعية الهادئة .

لقد شعرت بمتعة كبيرة وانا اقرأ لادفيك شيبوب كتابها الجديد ، لا لانني لبنانية تشدها الى قريتها في اعالي الجبل ، اواصر محبة وثيقة ، بل لانني قدرت للكاتبة براعتها في احياء صور عزيزة علينا نحن ابناء القرى النازحين عنها الى المدينة ، المتناسين تقريبا عاداتها وتقاليدها ، بهرت ، اعيننا مبتكرات الحضارة الحديثة ، وابعدتنا عن مسالك القرى الوعرة سياراتنا الانيقة ، فتلاشت في خيالنا صور الحياة الجبلية الجميلة ، الرائعة ببساطتها والبليغة بهدوئها وتضامنها مع تقاليدها ، وامحت من ذاكرتنا المثقلة بمتاعب الاعمال وتتابع المسؤوليات ، تلك النماذج البسيطة من صور الحياة التي عاشها آباؤنا واجدادنا وروتها لنا امهاتنا وقصدهن ان يقارن بين حياتنا اليوم وحياتهن بالامس القريب في القرى .

واعود الى الكتاب لاقول مخلصة : ان الكاتبة قد وفقت فيه بطريقة العرض للصور الحياتية الهادئة التي جمع الجوار فيها بين اسرتين رحل عن الاولى ربها الى الديار الاميركية ، فبقيت الزوجة تتحمل مسؤولية اعالة اسرة بكاملها فامتهنت التعليم في القرية الهادئة . ورحلت عن الثانية ربة البيت الى دار البقاء فتحمل الاب فيها عبء السهر على الاولاد تعاونه في ذلك شقيقة دائبة فرضت عليها الظروف عزوبة قاسية وجعلتها ترى الحياة جدا لا هزل فيها ولا ابتسام ، والوقت في مفهومها كنز يجب استثماره بلا هوادة ، فكان ان نشا ابناء اخيها يفتقرون الى دفء الامومة فينشدونه لدى جارتهم ام فؤاد وهي الام المثالية والصديقة الوفية لعمتهن وللاسرة كلها .

وكان طبيعيا ان تنشأ بين ابناء الاسرتين علاقة ود وصداقة غذتها الايام ، وان تتفتح في قلبي ندى ونبيل ، بطلي القصة ، براعم حب نضر نشر في صفحات القصة عبيرا ريقا ، لا سيما والبطلان ما زالا في طور المراهقة الطريء يطلان على عالم العاطفة بقلوب صغيرة نابضة وعيون ترى الحياة عزيمة ووفاء ونبلا .

وما دمت استعرض موضوع القصة فلا بد لي ان اذكر ان الكاتبة قد وفقت بعرضها الرشيق لبعض مشاغل ابناء القرى خارج حدود دروسهم، فكانت تختلق الاجواء المناسبة لتعرض على قراء كتابها ممن اينعوا ، نماذج من المواسم التي يعلق عليها سكان القرى جليل اهتمامهم وكبير آمالهم ، فهي مصادر حياتهم ، واسباب هامة لمعيشتهم . وانه لمغر حقا ان يتابع القراء صغارا كانوا بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ممن خصتهم الكاتبة بمؤلفها ، او كبارا يحنون الى استعادة صور الحياة العملية الساذجة في جبالنا وقرانا ، قراءة فصول القصة بنشوة تعيد امام انظارهم ذلك الاطار الجذاب المحيط بحياة ساذجة بسيطة لا تعقيد فيها ولا ملابسات ، وتبسط لهم بعض نشاطات اقرانهم ممن يعيشون في الريف الهادىء فتزيل من اذهانهم تلك الحواجز التي خلقتها تيارات الحياة الجديدة في مدننا العامرة فمحت بها من اذهان اولادنا طابع القرية اللبنانية الهادئة الهانئة

لقد خلت القصة من تلك الحبكات المثيرة والعقد المتأزمة التي تلهب خيال الاولاد ، وتدفعهم برغبة المتقصي للاحداث بنهم ، الى مطالعة الكتاب بلهفة ، لكن ذلك لن يقلل من حلاوتها لان لغتها سلسة تناسب اعمارهم واسلوبها سهل ورشيق ينسجم ونمو مداركهم . والكاتبة اذ عرضت سيرة البطل « نبيل » هذا الفتى اليقظ والاهل لتحمل المسؤوليات اثارت اعجابي ، فجميل ان نهيء اولادنا الى مثل نشاط « نبيل » وحلو اخلاصه لعمله المدرسي والبيتي ، وهو بما وهب من قوة حافظة وميل الى العلوم ، وحرص على تطبيق اصولها في الحياة العملية ، واندفاع الى اغاثة كل متألم او مريض من رفاقه واترابه ، قد استحق لقب « الطبيب الصغير » عن جدارة .

بقي ان انوه باخراج الكتاب ، فهو حقا جميل الطباعة انيق الغلاف ، صدر عن المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر . صفحاته المئة والخمسون زاد لذيذ لاولادنا في ساعات فراغهم ، وحجمه المتوسط تزدان به مكتبتهم فمرحى للكاتبة ساعة فكرت باولادنا واهلا « بالطبيب الصغير » يحتل في مكتبتهم ركنا جميلا .

سعاد ابو شقرا

•

من وحي الاسكندرية

شعر ـ عادل الغضبان ـ ٥٦ صفحة ـ منشورات وطبع دار المعارف بالقاهرة

هذا كتاب قرأته في لحظات قصار ، ولكن ظل منه في نفسي وفي ذهني رنين ساحر ، واصداء حلوة ، وخيالات زرقاء مترقرقة كمياه شاطىء الاسكندرية الذي اوحى الى الشاعر عادل الغضبان ، بابياته المئة والسبعة والثمانين ، التي تتناثر على صفحاته الست والخمسين كما تتناثر الازهار الشذية على بساط الربيع الخلاب في ابانه .

الكتاب كله قصيدة واحدة ذات وزن واحد هو بحر الرمل ، وروي واحد هو الياء المشددة المفتوحة قبل هاء . وعلى الرغم من ان القافية الواحدة والوزن الواحد كثيرا ما يبعثان على الملل ، ويؤديان بالشعر الى الركاكة ، الا ان الشعر قد اسلس قياده للشاعر الغضبان ـ وما اندر ما يفعل الشعر ذلك في القصائد الطوال ! ـ فتألق على قلمه رغم طول القصيدة ، ورغم تكرر الايقاع في القافية الواحدة والوزن

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : (الادارة ٢٢٣٨١٩) (المنزل ٢٢٥١٣٩)

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

الواحد مئة وسبعا وثمانين مرة متلاحقة . ولعل الموضوع نفسه ــ الاسكندرية ، وشاطئها الجميل ، وتاريخها الحضاري العريق ــ كان عاملا مهما في رقرقة الشعر وتألقه في هذه القصيدة الطويلة ذات الثمانية عشر نشيدا ، الى جانب رهافة حس الشاعر ، وجمال ذوقه في اختيار اللفظة الشعرية المعبرة ، وفي الصياغة الفنية ذات اللمسات البارعة ، واللفتات الذهنية المرهفة ، مما يجعل القارىء الباحث عن الجمال الفني يجد في مثل هذا الشعر تعزية عن قناطير القصائد « الحرة ... » التي تفثي الصحف بها نفوس القراء في كل يوم .

ويتجلى ذوق الشاعر الرفيع ، الى جانب الشعر الرقيق الجميل ، في اخراج الكتاب ، واناقته ، وروعة غلافه المستوحى من لون البحر وامواجه ، ومن ريشة الفن في يد الجمال .

ان اعجاب الشاعر بالاسكندرية وحبه لها لا يتجليان في القصيدة التي يتضمنها الكتاب فحسب ، ولكن المقدمة النثرية اللطيفة التي يحملها الكتاب في صدره تشارك في هذا الاعجاب والحب . وهذا بعض ما جاء في المقدمة من التعبير عن عمق احساس الشاعربالاسكندرية الجميلة الخالدة : « سمها ان شئت عروس البحر ، او لؤلؤة البحر ، فما انت مغال في التسمية ، فانها اجمل ثغور البحر الابيض على الاطلاق ، بما اجتمع فيها من مجالي الحسن والفتنة والسحر منشورة في جنبا تالارض واديم السماء ... واني لاخالني في عداد اولئك السعداء الذين تتاح لهم زيارتها في الفينة بعد الفينة ، فكلما شاقني البحر ، وتاقت نفسي الى مواضع السحر ومرابع العلياء خففت اليها ، وانصت فيها الى قهقهة الموج ، وهمسات النسيم ، وحديث الرمال ، وقرات فيها سطور المجد منقوشة على الواح التاريخ وصفحات العمران، ونهلت من ادب ابنائها الجم ، وعلمهم الغزير ، ومودتهم الصافية ، وعدت منها ممتلىء القلب بآيات الجمال والجلال » .

اما القصيدة التي تضمها دفتا الكتاب فقد استثار في الشاعر وحيها دعوة المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية الى مهرجان للشعر يقام في الاسكندرية . ويقول الشاعر : « فمشيت في مناكب التاريخ تارة ، وفي مراكب الحسن تارة اخرى ، متنقلا على اجنحة الفكر من عصر الى عصر ، ومن حدث الى حدث ، ومن روعة سحر الى روعة سحر ، ومن مأثرة الى مأثرة ، حتى امتد بي نفس الكلام الى هذا القدر من القصيدة ، وكان حقيقا ان يمتد الى اطول من ذلك توفية لموضوع جليل تنوء به كبريات الملاحم . وما هذه القصيدة الا تحية عربية خالصة نبثها الاسكندرية واهلها الكرام في ابيات من الشعر اكتفت باللمحة الخاطفة عن النظرة العميقة الشاملة في ما تصدت له. فان اخطاها التوفيق فلم يخطئها الدليل على ان القافية العربية تتسع لتنوع الاغراض والمعاني في المنظومة الواحدة مهما طالت » .

ان في هذا الذي جاء في المقدمة لتفسيرا لدوافع هذه القصيدة الجميلة التي يطلع بها علينا الاستاذ الفضبان ، الذي عودنا من شعره كل جميل كخلقه الرضي وقلبه النبيل الشاعر .

يستهل الشاعر قصيدته المطولة بنشيد عنوانه (مجد وجمال) يقول فيه مشيدا بجمال الاسكندرية وامجاد تاريخها العريق :

عشت طول الدهر يا اسكندريه ... افق الحسن ومجلى العبقريه
قسما : لو صور الخلد لما ... كنت الا صورة الخلد البهيه
قبة من لازورد ، وثرى ... من عقيق ، ورمال عسجديه
وخضم يضحك الموج به ... تخذته السحب مرآة وضيه
انت للمجد وللحسن معا ... فلك يسطع بالشهب الزهيه
زادك الله جمالا وعلا ... يا عروس الشعر ، يا اسكندريه

وبمثل هذا الشعر المترقرق المتالق ، وهذه الصياغة السلسة العذبة، وهذه الخيالات اللطاف المحلقة ، يمضي الفضبان في مطولته متنقلا بين عصور التاريخ المختلفة ، فيصور الاسكندرية تتقلب على ايدي الفاتحين ، ثم لا تلبث ان تطويهم واحدا اثر واحد ، وتعيش مجيدة غالبة ، وتنشر من منائر العلم فيها انوارا باهرة تصل اشعتها الى مختلف بقاع الدنيا ، فتتحدث كلها بعظمة المدينة البحرية الخالدة التي تتربع على عروش من الجمال والجلال في جنوبي البحر الابيض المتوسط ، يخلدها الشعر والسحر معا :

بأبي الشطآن في البحر اذا ... ايقظتها قبلة الفجر البريه
اشرقت وردية الخد كما ... اشرقت وجنة حسناء حييه
وصحت ترشف صهباء الندى ... حملتها السحب للريح الرخيه

واخيرا يختم الشاعر مطولته بنشيد عنوانه (تحية وسلام) يقول فيه مخاطبا ثغر الاسكندرية ، ومشيرا الى موسم الشعر الذي اتخذ الثغر مكانا له :

وصف امجادك تعيا دونه ... مهرجانات القريض الموسميه
فابق في الدهر مدارا للعلا ... ومنارا للنهى واللوذعيه
فعلى تالدك الضخم رضى ... وعلى طارفك الفخم تحيه
زادك الله جمالا وعلا ... يا عروس الشعر يا اسكندريه

لقد اجتمع لهذه المطولة كل افانين الاناقة والابداع ، من فخامة الموضوع ، وجمال الشعر ، واناقة الاخراج . فتحية لعادل الفضبان ، وتهنئة حارة على وليده الجديد البهي .

عمان — عيسى الناعوري

•

علماء في وجه الطغيان

تاليف محمد رجب البيومي ــ ١١٨ صفحة ــ مطابع الدار القومية بالقاهرة

عرفت الاستاذ محمد رجب البيومي منذ ما يقارب الخمسة عشر عاما حيث كان يواصل مقالاته الرائعة في مجلة (الرسالة) التي كنا نتلهف الى قراءتها ونتابع ما ينشر في صفحاتها من ادب جم وعلم مفيد ومناظرة هادئة ، وكان يتبارى الكتاب والادباء في بريدها الادبي وكل يدلي برأيه ويؤيد حجته بالبرهان الدامغ ، والمنطق السليم ، وكان الاستاذ البيومي له القدح المعلى فيما يدور في بريدها ولا سيما في اللغة ونحوها وصرفها . وبعد ان احتجبت (رسالة الزيات) اخذ الاستاذ البيومي ينشر مقالاته المتعة على صفحات (الاديب) وكانما الاستاذ كان على علم بان قراء الرسالة هم قراء الاديب انفسهم ، فراح يتحفنا بمقالاته المتعة والتي هي معين لا ينضب وبحر لا ينكش .

واليوم يتحفنا المؤلف الفاضل بكتابه هذا الذي عنوانه (علماء في وجه الطغيان) فهو يصور لنا في مؤلفه هذا البطولة الحقة التي تتجلى فيها النفوس الكبيرة التي تابى الخضوع ، وتربأ بنفسها عن الطغيان ، وان هؤلاء الذين ذكرهم المؤلف قدموا للناس لبنات خيرة لبنايةمجتمعهم بفضل الايمان الذي كان يختلج في قلوبهم ، فهذا الايمان قد عمل عمله في نفوسهم فهو ايمان برسالة الحق التي حملها هؤلاء العلماء الاعلام في غسق تلك الليالي المدلهمة فانارت الطريق وعبدت السبل وفي هذا الكتاب الذي بين ايدينا اطلالة من ذلك الشعاع .

تكلم المؤلف في كتابه عن شخصيات قاوموا الملوك والامراء وتحدوا الموت وكانت اصواتهم تجلجل رنانة تندد بالطغيان المشين رافعة لواء الحق والعدل . وهم لا يبالون بالموت وكل شيء يهون لديهم اذا سلمت عقيدتهم ، فتكلم المؤلف عن ابي حنيفة وعن العز بن عبد السلام وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وعمرو بن عبيد وغيرهم ... وفي الوقت الذي كان هؤلاء يقارعون الظلم وجلهم يعيش في ضنك من العيش كان غيرهم من العلماء الذين هم وعاظ السلاطين يعيشون في بحبوحة من العيش ولا يهمهم من الدنيا سوى انفسهم فراحوا يحرقون البخور للامراء والسلاطين وخالفوا بذلك قانون الحق والعدل ودستور الاسلام اذ ان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول (العلماء ورثة الانبياء)

ولقد صدق المؤلف الفاضل حينما قال : (اني حين ابسط هـذه المواقف في صفحات هذا الكتاب اشعر اني اكتب دروس اخلاق وتربية قبل ان اسجل حوادث اناس وعصور ، لان القدوة الصالحة والاسوة الحسنة جديرة ان تجعل من الناشئة رجالا بسلاء يتخذون من اسلافهم الغابرين انماطا تحتذى وكواكب تهتدى) .

ومن طريف ما جاء في مؤلفه هذا عن ابن تيمية حيث قال : لقـد حفل بالروائع في مجالدة الباطل على شراسته ، ومناوئة الطغيان على جبروته ، فذكر احتلال قازان للاراضي الشامية تمهيدا للوثوب علىبلاد النيل فذعرت طوائف كثيرة وسلم فريق كبير من امراء الشام رغما عنهم لمـا بعثـه هذا القائـد التتري من فزع فـي نفوسهم . وكـان يتظاهر بالاسلام ويصحب معه المؤذن والقاضي والامام ثم يسلط سيفه عـلى الرقاب المسالمة فيقطعها في غير ايمان ويريق الدماء ، ولعمري ينطبـق عليه قول الشاعر العربي :

فهـو كالجزار فيـنا يـذكر الله ويـذبـح

وعندما دخل هذا القائد التتري دمشق كبر على ابن تيمية ان يرى هذا الطاغية المستبد يتجبر وهو يدعي الاسلام فلم تهدأ لابن تيميـة نفس وقرر ان يتحدى جبروته ومعه فريق من اعيان دمشق ويميل قازان الى المداهنة ويقدم الطعام الى الوفد فيأكلون ويمتنع ابن تيمية عـن الطعام فيساله السلطان :

ـ لماذا لا تاكل ايها الشيخ فيرد ابن تيمية في عناد : كيف اكـل طعامكم وقد طهيتموه من اغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من اشجار الناس ولا ملك لاحد لكم فيه .

وتقع الواقعة اذ ان للحق لرهبة ترعد النفوس ، وتكبل الايدي وقد غلبت هذه الرهبة نفس قازان فطاطأ راسه .ولم يكتف الشيخ بهـذا بل اخذ يشجع الناس على القتال ويقود الفقهاء في ميدان التدريب ، ثم تمضي الايام ويعود العدو من جديد فيهب ابـن تيمية للنضال ويتقدم الصفوف وهو يشعل الحماس حتى تنجلي المعركة بالانتصار ، ويعـرض عليه الملك الناصر بعض الهبات فيترفع عن اخذها .

هذه بعض الصور في هذا الكتـاب القيم الممتع ولكن مما يؤاخـذ على المؤلف عدم ذكره تاريخ الحوادث ولو ذكرها لتمكن ان يستفيـد منها الطالب والاديب والمؤرخ دون حاجة ان يرجع الى مصدر اخر .

ذكر المؤلف في صحيفة ٨٩ عن عبد الرحمن الجبرتي فقال : (لـو سلـك الجبرتـي مسلك ادباء عصره فـي التـزام المحصنات واصطناع التشبيهات لفرق القارىء في كناية واستعارة وجناس وطباق وما امكنه ان يقدم صورة امينة عن واقع عصره) والذي اراه ان هذا لا يكـون مانعا للكاتب والاديب عما يريد من تقديم صورة حقيقية عنحياة عصره.

ذكر المؤلف في صحيفة ١٠٤ ان جمال الدين الافغاني اصيب بالسرطان وودع الحياة . وهذا ما ذهب اليه الاستاذ عبد القادر المـغربي فـي كتابه (جمال الدين الافغاني) صحيفة ١١٨ . اما الاستاذ قـدري قلعجي في كتابه (جمال الدين الافغاني) فيقول : (وتقول النـاس الاقاويل في مرض السيد جمال الدين ووفاته فقيل ان قنبور زادة قد اساء علاجه بامر السلطان ، وتحدث المستشرق لاون استروروغ الى الامير شكيب ارسلان بان السيد جمال دعاه بعد اجراء العمليـة الجراحية ، فرأى ان حالته بعدها قد ازدادت شدة ورجا منه ان يرسل اليه جراحا فرنسيا حر الفكر طاهر الذمة ليفحصه ، فارسل اليه الدكتور (لاردي) فوجد ان العملية لم تجر على وجهها الصحيح ولم تعقبها التطهـيرات اللازمة وان المريض قد هلك بسبب ذلك) .

وان هذه الهنات الهينات لا تحط من قدر هذا السفر الممتع الـذي اتحفنا به مؤلفه الفاضل الاستاذ محمد رجب البيومي فله بالغ التحية ووافر الشكر على جهوده القيمة التي يستحق عليها الثنـاء ويستاهل التقـديـر .

بغـداد عبد الخالق عبد الرحمن

تاريخ الحضارات العام

باشراف موريس كروزيه ـ المجلـد الاول : الشرق واليونـان القديمة ـ تاليف اندريه ايمار وجانين اوبوايه ـ ترجمة فريـد داغر وفؤاد ابو ريحان ـ ٧٢٦ صفحة ـ مـع لوحات وخرائـط ـ حجـم موسوعي مجلد ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع دار الارشاد ببـيروت

الكلام على الحضارات هو الكلام على تاريخ البشرية . وقـد كثـرت المجلدات التي تناولت هذا التاريخ بالدرس والتحليل . ومن هـذه المجلدات « تاريخ الحضارات العام » ، وهي موسوعة ضخمة من سبعة اجزاء ، وضعها ، بالفرنسية ، بعد سنين شاقة من البحث والمراجعـة والتنقيب والتدقيق ، اندريه ايمار وجانين اوبويه .

الجزء الاول منها يحمل اسم « الشرق واليونان القديمة » . ونقلتها الى العربية لجنة قوامها فريد داغر ، فؤاد ريحان ، يوسف اسعد داغر، واحمد عويدات . والموسوعة هذه تركزت على اقسام ثلاثة :

القسم الاول احتوى على عدة فصول بحثت فيها اسباب ازدهـار الحضارة المصرية القديمة ، ثم اسباب انحلالها ، وحضارة بلاد ما بين النهرين ، وحضارة آسيا الصغرى وايران .

في الكلام على الحضارة المصرية درس المؤلفان النـظم السياسيـة والاقتصادية والاجتماعية والمظاهر الدينية والفنية والعقلية التي كونت تلك الحضارة . ففي « النظم السياسية » مثلا القيا ضوءا على حياة الملك ووظائفه ، وعلى ادارة الحكم في مصر الفرعونيـة ، وانحـلال امبراطوريتها ، ثم زوالها . وعندما وصلا الى حياتها الاقتصادية شرحا موارد الطبيعة فيها ، واظهرا كيفية استثمارها ، والعوامل التي رافقت عزلة مصر الاقتصادية بسبب تـاخر تجارتها الخارجية في الانتشار .

وتطرقا الى المجتمع واوضاعه ، فتحدثا عن الرق ، والاتجاه المحتوم الى الطبقات الوراثية . ثم صورا حياة الفلاح والعامل والجندي ...

وفي « المظاهر الدينية » شرح واف للواقع والخيال في الفـكرة الدينية ولاعمال الآلهة رع ، فتاح ، وامون ، ولاعمال الالهة الكونيـين والشعبيين ، وللمذاهب اللاهوتية . كما فيه صور واضحة عن تعميـم العقيدة الشمسية ، وانتصار عقيدة اوزريس وتنويع المراسم الجنائزية.

ونصل الى حركات الفن ، فنقع على ابحاث تحليلية عن تطوير الفن في مصر . فالمعابد مزينة بمختلف الرسوم ، كما المدافن . والحـدائق العامة وقصور الحكام غاصة بالتماثيل الرخامية .

اما بخصوص الحياة العقلية، فالكتابة كانت محصورة ضمن اشخاص معينين ، كما ان العلوم الطبيعية والعلوم الصحيحة كانت وقفا عـلى اشخاص دون غيرهم . فضلا عن ان علم السحر كان في اعلى ذروته . وكان اسياد البلاد واغنياؤها يستعينون به لحـل الكثير من مشاكلهـم المعقـدة .

وفي الكلام على « حضارة بلاد ما بين النهرين » شروحات وافية عن مفهوم الامبراطورية والجيش الاشوري ، والمركزية زمن الملك حمورابي، وعن تنوع اللغات من سومرية واكادية وارامية ، والترحيب بالكتابـة المسمارية ثم محاربتها ، وازدهار علم الحقوق والفلك والرياضيـات والمـوازيـن .

اما القسم الثاني من الكتاب فقد عنون بـ « حضارات الانسان في الشرق الادنى » . وفيه تناول المؤلفـان واقع الحضـارتين الكريتيـة والميسينية ، وتحدثا عن الفينيقيين ، فحللا حياتهم السياسية ودورهم الاقتصادي الذي استمرت اهميته « حتى بعد ان دخلـوا في فلـك الامبراطورية المقدونية والامبراطورية الرومانية من بعدها ، وحتى بعـد ان اشتركت البلدان الغربية اشتراكا مباشرا في الحضارة العامة » ، والمحا الى ابجديتهم التي خدمت مختلف الحضارات القديمة . ثـم تناولا اوضاع الآراميين والعبرانيين وتطور النظريات الاخلاقيةفي ايامهم.



● اجتماعات الاباء والمدرسين : دليل لمدرسي الناشئين الصغار – تاليف كاترين أ. ديفيلين – ترجمة الدكتور محمد الهادي عفيفي – مراجعة وتقديم محمد السيد روحه – ٢٣٢ صفحة – منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة – دار ومطابع الشعب (؟)

● اسس التربية البدنية – تاليف تشارلز أ. بيوكر – ترجمة الدكتور حسن معوض والدكتور كمال صالح عبده – مراجعة فرحات مرزوق – تقديم محمد علي حافظ – مصمم الغلاف طلعت المصري – ٧٤٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة – مؤسسة طباعة الالوان المتحدة (؟)

● قاموس جون ديوي للتربية : مختارات من مؤلفاته – جمعها رالف ن. وين – ترجمة وتقديم الدكتور محمد علي العريان – تصدير عبد العزيز سلامه – مصمم الغلاف محمد اسماعيل صالح – ٢٣٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر بالقاهرة

● السحب والمطر والثلج – تاليف برت موريس باركر – ترجمة محمد اللقاني – ٣٦ صفحة – مصور – منشورات دار المعارف بالقاهرة – مطابع دار المعارف بالقاهرة .

● الحان منتحرة – شعر – حسن عبدالله القرشي – ١٢٨ صفحة – منشورات دار العلم للملايين ببيروت – مطابع دار العلم للملايين ببيروت.

● ١٢ قصة من حلب – تاليف نخبة من كتاب القصة في حلب – اعداد فاضل السباعي – ١٩٢ صفحة – منشورات عويدات ببيروت – مطابع دار الارشاد للطباعة ببيروت .

ففي فصل « الحضارة اليونانية القديمة » اظهرا العوامل التي دفعت بالحضارة اثينا ان يسير في ركب الازدهار ، وتحدثا عن بواعث الازمات السياسية التي طرأت على المجتمع اليوناني . وعندما وصلا الى النهضة الادبية في بلاد الاغريق ، حللا اثر الدين في الادب ، ثم ركزا كلامهما على الشعر الملحمي ، ونشأة الشعر الغنائي ونضارته ، هذا الشعر الذي سخره اصحابه للتعبير عن مشاعرهم الشخصية .

اما في القسم الثالث المعنون « آسيا الشرقية » فقد تكلم فيه اندريه ايمار وجانين اوبويه عن الحضارة الهندية قبل عهد الموريا ، والحضارة الصينية القديمة وخصائصها ووضعها في عهدي الشنغ والتشاو ، وديانات هذه الحضارة التي تنوعت فيها اسماء آلهتها وكثرت .

وبعد ، ان هذا الجزء من موسوعة « تاريخ الحضارات العام » لمن المؤلفات القيمة والخالدة على كر الايام الثقافية . وجدير بجيلنا ان يطالعه بانتباه ، ويؤهله الصدارة في مكتبته . فتاريخ كل حضارة يشكل دعامة متينة في صرح كل بلد مهما كانت مساحته ، ومهما تنوعت عطاءات بنيه .

ابراهيم عبده الخوري

● من وحي الاسكندرية – شعر – عادل الغضبان – رسم الغلاف والصور الداخلية يوسف فرنسيس – ٥٦ صفحة – حجم كبير – منشورات المعارف بالقاهرة – مطابع دار المعارف بالقاهرة .

● ابن خلدون – مهرجان ابن خلدون (مايو ١٩٦٢) – نظمته كلية الاداب بجامعة محمد الخامس بمشاركة اتحاد كتاب المغرب العربي وجمعية قدماء مولاي ادريس بفاس – ٧٨ صفحة باللغة العربية و٤٠ صفحة باللغة الفرنسية – منشورات دار الكتاب بالدار البيضاء – مطبعة (؟)

● اغاني الطفولة :احدث الاناشيد التربوية – تلحين ابراهيم الدرويش المصري – الطبعة الثانية منقحة ومزيد عليها – ٩٢ صفحة – مع النوطة – منشورات مكتبة سعيد في حلب – مطبعة الاحسان بحلب .

● دماء بريئة – تاليف صلاح الدين الهرمزي – مصمم الغلاف الفنان كريم – ١٩٢ صفحة – مطابع دار الزمان ببغداد .

● فلسطين اليوم لا غداً – تاليف رياض طه – طبعة ثانية – ١٧٦ صفحة – مطابع دار الكفاح ببيروت .

● فلسطين ومؤتمر القمة العربي – تاليف صلاح الدين شكري–تقديم عبدالخالق حسونة الامين العام للجامعة العربية – صمم الغلاف هشام شيشكلي ومحمد قنوع – ٢٦٠ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتب الصحافة للشرق العربي بدمشق – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● محركات الديزل ومحركات الغاز عالية الانضغاط – تاليف ادجار ج. كيتس – ترجمة الدكتور حسن محمد السبيلجي – مراجعة وتقديم الدكتور علي شعيب – مصمم الغلاف طلعت المصري – ٥٢٨ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة–مطبعة مصر(؟)

● صحة اسرتك – تاليف ستيلا ب. ايليوم – ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ – مراجعة وتقديم محمد كامل النحاس – ٦٨ صفحة – منشورات مكتبة الخانجي (؟) – مطبعة الاستقلال الكبرى (؟) .

● العلوم في المدرسة الابتدائية – تاليف جيرالد س. كريج – ترجمة الدكتور محمد صابر سليم – مراجعة الدكتوريوسف صلاح الدين قطب – اشراف وتقديم محمد علي حافظ – ٧٤ صفحة – منشورات دار القلم بالقاهرة – مطابع دار القلم بالقاهرة .

● الواجبات المدرسية والاستذكار الموجه – تاليف روث سترانج – ترجمة الدكتور جابر عبد الحميد جابر – مراجعة الدكتور ابراهيم حافظ – اشراف وتقديم محمد علي حافظ – ٨٤ صفحة – منشورات دار القلم بالقاهرة – مطابع دار القلم بالقاهرة .

● **Ibn Aqîl et la Résurgence de l'Islam Traditionaliste aux XIème Siècle (Vème siècle de l'Hégire) — par Georges Makdisi — 606 pages — g.d.f. — Editions Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.**

● **Ahsan At-Taqâsîm fî Mârifat Al-Aqâlîm (La Meilleure Répartition pour la Connaissance des Provinces) — par Al Muqaddasî — Traduction partielle, annotée par André Miquel — 432 pages — gd. f. — Editions Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.**

● **Les Danses Sacrées, Anthologie — 496 pages — Editions du Seuil, Paris — Imprimerie Mame à Tours, France.**

● **Anthologie de la Littérature Arabe Contemporaine : Le Roman et La Nouvelle — par Raoul et Laura Makarius — préface de Jacques Berque — 412 pages — Editions du Seuil, Paris — Imprimerie Mame à Tours, France.**

● **L'Orientalisme en Crise — par Anouar Abdel Malek — 34 pages — Extrait de Diogène 44, France.**